الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٤٩ – ١١ مايو سنة ١٩٣٦ – السنة الرابعة

4 me Année, No. 149.

Lundi - 11 - 5 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٥٥ — ١١ مايو سنة ١٩٣٦ » العـــدد ١٤٩

فهرس العـــــــدد

صاحب الجلالة فاروق الاول



لم تر مصر فى أرجح الظن قبل احتفالها بتقدم فاروق ، قلبها يخفق بالحب عن إخلاص ، ونفسها تفيض بالإجلال عن حقيقة ، ولسانها يجأر بالدعاء عن عقيدة ، وسوادها يتسابق إلى الاحتفال عن طواعية ؛

فقد كان مليكها الشاب منذ عودته من دار علمه إلى دار حُكمه مهوى أفئدتها ونجوى ضمائرها ومجمع أمانيها وموضع إعجابها ، لا تصدر فى ذلك عن رياء ، ولا تنقل عن تقليد ، ولا تعمل عن تكلف ؛ إنما الطرقات والشرفات والنوافذ كانت مسايل روحية تزخر

بعواطفها الكريمة لملك نَشَّأته على طبعها وحسها ، وأعدته لعرشها بنفسها ، وعقدت على تاجه المصرى الخالص أملها فى السلطان الحر والحياة العزيزة

أرأيت إلى الشعب الشكور كيف وقف صفين من رأس التين إلى قصر عابدين ، ومن سراى القبة إلى مسجد الحسين ، يلقى على مليكه المحبوب الولاء مبثوثاً فى النظر ، والرجاء مكنوناً فى الهتاف ، والإعجاب معلناً فى التصفيق ، فيلتقى شعوره بشعوره ، ويمتزج هواه بهواه ، فيصبح الشعب جسما رأسه فاروق ، ويصبح فاروق رمزاً مدلوله الشعب ؟

أرأيت إلى الشعب الفخور كيف احتشد مساء الجمعة حول آلات الراديو فى الدور والأندية والمقاهى يستمع إلى مليكه الجديد وهو يقرأ فاتحة مُلكه السعيد بلغة عربية مبينة ، ولهجة مصرية فصيحة ، فانفعل بحزن الملك البار ، و بكى من هذا الانفعال ، وتأثر بشعبية الملك الحر ، وابتهج من هذا التأثر ، وأحس وهو يحييه أن روحاً قدسية تبعث فى هيكله الواهن القوة والفتوة والأمل

والحق أن تحية فاروق للوطن على هذا النحو الجميل ، وصلاته لله فى هذا المظهر المتواضع ، ورسالته إلى الشعب على هذه الصورة الصريحة ، ونزوله عن ثلث مخصصاته للأمة الشاكرة ، كانت أبرع استهلال لعهده الموموق الخصيب

***

إذا كان من الحق أن بعض الأسماء ينزل من السماء ، فإن اسم فاروق وضعه القدر وضعاً لهذه الساعة المشهودة من تاريخ مصر . ولعلها أشبه بالساعة التى لقب فيها الرسول (ص) عمر بالفاروق : فقد كان الإسلام قبل عمر ذليلاً فعزّ ، وقليلاً فكثر ، ومستخفياً فاستعلن . وهذه مصر تُرَنِّقُ على ثراها الأحداث من كل جانب : فالاحتلال الغاصب ينقص ببغيه سيادتها فى التملك ، وعدتها للدفاع ، وحريتها فى التصرف ؛ والاستعمار الجشع يرصد الأهب على حدودها بالعين الخؤون والمنطق المسلح : والناس من إلحاح الذل و إفراط الظلم وامتياز الدخيل وقصور القانون فى حال من الخمود لا ينفع فيها تذكير ولا تبلغ عليها دعوة ؛ وسياسة البلاد تسير فى تيه من الأرض فتضطرب لتنقلب وتعود لتبدأ .

فلما أراد الله لطريقها أن تتضح ، ولقافلتها أن تسير ، ألقى بأزمتها فى أيدى الشباب ؛ والشباب يسيرون بهداية الله ، و يجاهدون بقوة الإيمان ، و يبالغون بكرم التضحية ؛ فأعادوا للأمة حياتها الدستورية خالصة من الخداع والكذب ؛ ثم جعل الله على الأمة ملكاً من الشباب تساير أهواؤهم إلى هواه ، وتتلاقى آراؤهم عند رأيه ، فيقول لهم فى منطق فصيح صريح : « إننى أستقبل حياتى الجديدة بعزم وثاب و إرادة قوية ، وأعاهدكم عهداً وثيقاً على أننى سأقف حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم . لقد رأيت عن كَثَب حبكم لى ، وتعلقكم بى ؛ لذلك أرى لزاماً علىّ أن أعلن ما اعتزمته من التضامن معكم فى سبيل مصر العزيزة ، فإنى أومن بأن مجد الملك من مجد شعبه »

***

ذلك هو ملكنا العظيم بعقيدته السليمة ونفسيته الكريمة وخطته الواضحة ؛ وهذا هو دستورنا القديم أعادته إرادة رشيدة ، وأعدته وزارة نزيهة ، وجمعته انتخابات حرة ؛ وأولئك هم شبابنا الخلص تمردوا على حياة الجمود وعقدوا نيتهم على أن يعيشوا كراماً أو يموتوا أعزّة . فمن أين إذن تؤتَى النهضة المصرية ؟ لا تؤتَى النهضة المصرية إلا من جهتين كانتا فى كل زمان ومكان مصدر الشرور للأمة : جهة الفساد فى الحاشية ، وجهة الخلاف فى الزعامة . فأما الفساد فى الحاشية — ومعاذ الله أن يكون — فوباله أن يزيف فى البلاط حقيقة الأمة بميوله ، أو يشوه فى الأمة صورة الحكومة بفضوله . وفى ذلك ما فيه من انفراج الحال بين الشعب وملاذه الأعلى . وأما الخلاف فى الزعامة فبلاؤه تمزيق الوحدة وتفريق الكلمة وتوزيع الجهد وتغليب الشهوة وتمليك الخصم . وما فتّ فى أعضائنا وهدّ من قوانا إلا هذا الخلاف الباغى لا يراد به إلا اقتناص المال أو الجاه أو الحكم . على أن فى الحب الأصيل المتبادل بين الملك الديمقراطى البر و بين شعبه الوفى المخلص ، ضماناً يرفع الحجب المسدولة ، ويمنع الوساطة المدخولة ، ويديم جُمعةً ما بين النفوس الزعيمة .

ثبت الله عرشه بالسلام ونضر عهده بالوئام وجمل حكمه بالاستقلال والمشورة

احمد حسن الزيات

الملك فـــؤاد (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

مات الملكُ العظيم ، فرأى الناسُ من ذهولهم كأنما زيدت في الموت زيادة

وكأن يوماً ليس من الدنيا وقع في الدنيا فترك الحياة في غير معناها

وكأن العيونَ انفتحت فجأةً على شكل محزن من هذا الوجود .

وكأن حادثاً عظيما انتهى من التاريخ المصريّ إلى نقطة انقلاب ؛

ورأى الناسُ كأن غيمةً فوق مصر تجتمع من حزنِ ستة عشر مليون قلب !

* * *

مات فؤاد العظيم ، فعرفت مصرُ أن معجزةً فارقتها

وأنه لم ينقض رجل ؛ ولكن ذهب قَدَرٌ كان في خدمة حوادثها المضطربة

ولم ينته عمر ؛ ولكن انتهت سعادةٌ كانت من حظ أيامها ؛

ولم ينطو تاريخ ؛ ولكن انطوت قوة كانت تعمل في حل مشاكلها

فارقت معجزة ، وذهب قدَر ، وانتهت سعادة ، وانطوت قوة . ما أفدح خطبك يا مصر !

* * *

وكيف لا يكون معجزةً من خُلقت مواهبُه على قدر أمة تنال به التاجَ بعد أن فقدته ألفي سنة ؟

وكيف لا يكون قَدَرا من بُعثت عزيمتُه لحل الزمن السياسي المعقَّد منذ دهور ودهور ؟

وكيف لا يكون سعادةً هذا الذي مرّت آثارُه على فقر التاريخ مرورَ الغنى ؟

وكيف لا يكون قوةً وإرادتُه الجبارةُ كانت مظهر السر الذي يعمل وينتصر ؟

أيتها الحقيقة العظيمة ! هل كانت النبوّة في شكل سياسي ؟

* * *

مرض الملك رحمه الله ، فكانت أخبارُ مرضه روايةَ أحزان الشعب

وعرف كل مصري أن هذا الملك هو الوطن في صورة رجل ،

واتجهت العاطفة الوطنية في البلاد كلها إلى رمزها الحي ،

وأثبت الشعبُ في سمو أخلاقه أن ملكه العظيم هو الذي ارتقى به إلى هذا السمو

وأصلحت غلطةٌ كانت السياسة الأجنبية تسميها التفرق ..

* * *

ومات الملك رحمه الله ، فأتمّ موتُه عمَل حياته العظيمة

جمع الأمةَ كلها على أسمى أخلاقها من الحب والوفاء والاتحاد ؛

وأظهرها حوله كأنها في صلاة تتدفق منها الروحانية العظمى ؛

وراع بها العالم السياسي كأنه يقول للدنيا : هذه مصر كما أنشأتُها

وترك لأمته الدرسَ الأخير في هذه الصورة كأنه يقول : هكذا عيشوا

* * *

وبكاه الشعبُ من كل عين ، حتى لو كان يبكي من نهر لييبس ؛

وأصبحت القلوبُ من الحزن كأن كل قلب اجتمعت فيه أمواتُه ذلك اليوم

وبرزت فجأة من النسيان همومٌ وهمومٌ وهموم

ودنت الآخرة حتى لا يذكر الناسُ غيرها ، كأن الخلد يتسلم الراحلَ من أيدي الشعب

وحكم الملكُ يومَ موته حكما آخر كما تحكم على الناس جميعاً طبيعةُ الخير

* * *

(١) [الرسالة] : لجلالة الملك فؤاد رحمه الله فضل عظيم على الأستاذ الرافعي ، وقد رفع الأستاذ إلى سدته العالية أكثر من ألف بيت من الشعر ، وكان جلالته يعجب به ويكبر أدبه ، وقد أمر بطبع كتابه إعجاز القرآن على نفقته الخاصة

« فى ذمة الله يا فؤاد » . هـذا هو صوتُ الشعب يوم وفاة الملك

صوتُ الفطرة على سجيَّتها مع نفسها ؛ لا من سياسةٍ ولا رياءٍ ولا مجاملة

صوت الايمان على طبيعته مع القلب ، لا من غرضٍ ولا تصنّع ولا خديعة

صوت الوطنية على عقيدتها مع الحب ، لا من خوفٍ ولا كذب ولا اضطرار

وما عسى أن يقول من فقد أباه العزيز ، إلا أن يقول : فى ذمة الله يا أبى ؟

***

فى ذمة الله ذلك الملكُ الذى كان كالأنبياء محصوراً فى واجبه ورسالته

ولم يكن بين فكره وعمله أحلامٌ تفسد الفكر أو تضعف العمل

وكان يقول : « ليس شيئاً يذكر أن يكون المرء أميراً ؛ ولكن الشىء الجدير بالذكر أن يكون نافعاً »

ومن أجل ذلك استمر يعمل كأنه مؤتمر ملوك لا ملك واحد ؛ وتألفت مدةَ حكمه اثنتان وعشرون وزارة ، فكانت له على مصر بركةُ اثنين وعشرين ملكا

***

وكان بنشأته واختباره وعلمه ودينه تصحيحاً لأغلاط من سبقوه فى الملك

وبذكائه وبصيرته كان يسوسُ رعيتين فى مصر : إحداها الحقائق

وكان موفقاً بقدر ما هو قوى ، يخدم الشعبَ عقله وحظُّه

تراه دائماً بحكمته وحزمه فى عمله للحاضر ، ودائماً بصبره وإيمانه فى عمله للمستقبل

هو ملك الصبر والايمان (١) ؛ وبهاتين القوتين كم من مرةٍ جعل ما لا يمكن يمكن

***

وكان من أكبر همه أن يألف العالم اسمَ مصر وأن تعرف ممالكُ الدنيا جِدّتها

تحرّكَ اسم مصر فى كل أمة لأنه وحده الاسم الذى يخاطب كل تمدن بلغة خياله

إن المجد المصرى إذا انبعث كان قوة من قوى الجلال فى الدنيا ؛

إن السحر المصرى إذا عرف كان قوة من قوى الحب فى العالم ؛

إن فن الاعجاب بمصر ليخرجُ من درس آثارها كما يخرج علم الفلك من درس النجوم

***

فى ذمة الله يا فؤاد ، وعزاءً يا مصر !

لقد أعطاك من الفاروق المحبوب أكبر حسناته :

أعطاك فيه أسرار عظمته تتجلى بادئة بنشاطها

غابت الشمس ليبدأ الفجر الجديد

مات الملك ؛ يحيا الملك

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(١) كان شعار الملك فؤاد (الصبر) وكانت هـذه الكلمة مكتوبة بخط جميل منوطة إلى المصباح الذى فوق مكتبه

في ليـــلة مقرورة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

« انفخي النار أو أذكيها فاني بردان ، ولست أجد حرّها »

وكان الوقت شتاء ، والبرد قارساً ، والرياح متداركة الهبوب تقشر الحصى عن وجه الأرض ، وتهيج بالغبار نحو السماء كالعمود . ولكن الغرفة كانت دافئة ، والنار في مواقدها تتسعر ، فعجبت الزوجة ، ونظرت من زوجها إلى الموقد ، وقالت : « بردان ؟ بردان والغرفة كجهنم ؟ لقد ألقيت عليها منذ دقائق خشباً كثيراً لا يزال يفرقع من شدة التلهّب ، فكيف لا تحسها ولا تسمعها ؟ مالك ؟ أبك شيء ؟ »

فهز الرجل رأسه هزة خفيفـــة ، وقال وهو يمد يده : « لا .. !! خذي أشعلي لي هذه »

وناولها سيجارة كان يقلبها بين أصابعه ، فوضعت طرفها على النار ونفخت فيه حتى صار كالجمرة المتلظية ، ووضعتها بين أصابعه وهي تقول : « سأعود اليك قبل أن تفرغ منها »

وخرجت وردت الباب وراءها ، فتنهّد الرجل وأطرق .. وفرغت السيجارة ، وشعر بحرّها على أصابعه ، فأراد أن يطفئها أو يرمي بها ، فمد يده الفارغة يتحسس حتى لمست أصابعه حرف منضدة صغيرة ، فأجرى راحته عليها ، حتى التقت أنامله المرتعشة بشيء فرفعها اليه يريد أن يتبينه ، فانقلب وتحطم ، فرد يده بسرعة ، وقد تجهم وجهه ؛ ثم تنهد ، ورفع قدمه وانحنى على الأرض ، ووضع السيجارة تحت حذائه

وكان الذي يراه وهو جالس على الكرسي ، ورأسه مثنيّ على صدره ، خليقاً أن يتوهمه نائماً من فرط السكون . ولكنه لم يكن نائماً ولا ذاهلا ؛ وإنما كان مُرهفاً أذنه لحركة الاقدام في غرفة ابنته ، ولما عسى أن يتأدى اليه من الأصوات غير ذلك على الرغم من الباب الموصد عليه . وكانت زوجته لا تزال تعود اليه كل بضع دقائق لتطمئن عليه على زعمها ، فقد أقلقها عليه قوله إنه بردان في هذه الغرفة التي يُشتكى حرُّها ؛ ولا يُعقل أن يشتكى بردها فكان يبتسم ويقول لها : « لا تخافي علي فاني بخير ، ولكن طمئنيني على فردوس ، كيف هي الآن ؟ ألا أصعد معك اليها ؟ »

وكان يعلم أنها أبت ذلك عليه من قبل مرات ، فهو على يأس كبير ، ولم تكن لجاجته في الطلب كلما دخلت عليه إلا ليرى كيف يكون جوابها في كل مرة ؛ وكان يؤكد أنه سيدخل على أطراف أصابعه ، ثم لا يتكلم ولا يتحرك ولا يمد يده ليلمس الفتاة ، فضاق صدرها بهذا الالحاح ، وقالت له : « إذن لماذا تريد أن تصعد اليها ؟ ؟ أكل مرادك أن تزعجها والسلام ؟ »

وأسفت لأنها احتدت فانقلبت تعتذر اليه بما تكابده من العناء ، وتوزع القلب والجهد بينه وبين ابنتهما ، فقبل اعتذارها ، أو لعل الأصح أنه لم يجعل باله إلى ما بدر منها . وما ظنت أنه ساءه من حدة اللهجة وقال :

« لا تشغلي نفسك بي ، واذا احتجت إلى شيء فان في وسع الخادمة أن تقضيه لي . أليست الممرضة مع فردوس ؟ إذن دعي لي الخادمة فهي حسبي إلى أوان النوم »

فأبت عليه حتى الخادمة ، وقالت : إن فردوس لا تستغني عنها ، وأن في وسعه أن يصفق إذا أراد شيئاً فتجيء هي — زوجته — اليه . فترك الالحاح ، وعاد إلى جلسته وإطراقه وسهومه وكفّ حتى عن أن يرفع رأسه — على عادته — حين تدخل زوجته عليه ، كأنما لم تعد به حاجة إلى سؤال ، أو كأنما لم يعد يعنيــه من الأمر كله شيء ، وكانت زوجته تقف حياله هنيهة ، ثم لا تأنس منه استعدادا لكلام ، أو تتوهمه أغفى فتنسل راجعة من حيث جاءت . وكأنما اطمأنت أو خشيت أن تزعجه أو توقظه ، فصارت تترك الباب موارباً ، ولا تكلف نفسها عناء إيصاده — كما كانت تفعل — من قبل اتقاء لما يحدثه ذلك من الصوت

ومضت ساعة وبعض ساعة ، والدنيا أتم ما يكون سكوناً ، لو لا الرياح العواصف ؛ وإذا بالباب يدق دقاً مزعجا ، وإذا بالخادمة تنحدر على السلم ، كأنما هي في سباق ، أو كأنما وراءها الذي تهرب منه وتمضي إلى الباب فتفتحه ثم تغلقه ، وإذا بالبيت يملأه بكاء وليد يصيح : « واء واء واء » ولا تمضي دقائق حتى يكون كل من في البيت قد أحاط به ما خلا فردوس المريضة التي لا تستطيع أن تبرح سريرها أو تنهض عنه ، ويدخل هذا الجمع الحافل ـ سيدة

البيت والمرضعة والخادمة ورجل غريب يحمل بين يديه طفلاً ملفوفاً فى أشياء كثيرة وعلى وجهه شف أرجوانى رقيق جدا —

وتتقدم الزوجة من بعلها وتقول : « ماذا تظن ؟ لقد وجد هذا الرجل طفلاً ملقى على مقربة من عتبة البيت ! مسكين إنه وليد ! ابن ساعة أو ساعتين على الأكثر ! ماذا ينبغى يا ترى أن نصنع به ؟ لا نستطيع أن نرده إلى حيث كان ... ولا أحسبنا نستطيع أن نستبقيه ... كلا ! هذا أيضاً عسير علينا . ما رأيك ؟ أشر كيف نصنع ؟ »

فيرفع وجهه إلى الناحية التى يجىء منها صوتها ويقول : « المهم الآن إرضاع الطفل — والوقت بعد ذلك فيه متسع للتفكير فى مصيره ، فانظرى من ترضعه ، إبعثى فى طلب واحدة ... إصنعى شيئاً ... لا تقفى هكذا »

ولم يكن ثم ما يدعوه أن ينهرها على هذا الوجه ، فما كانت قصّرت أو تلكأت ، ولا كان مضى على دخولها عليه بالطفل إلا مسافة ما ألقت عليه خبر العثور عليه ، ولكنه كان ضيق الصدر بما أجن لا بما حدث من التباطؤ ، وكان يثقل عليه وجود الرجل ولا يرتاح الى الحديث على مسمع منه فى أمر هذا الوليد . ورأت زوجته منه هذا النفور ، وأحست له سبباً باطناً غير ظاهره . فقالت صحيح . أين نجد مرضعة يا فاطمة ؟ (الخادمة) أتعرفين واحدة قريبة من هنا أو جارة نستعين بها الليلة حتى نهتدى الى مرضعة صالحة ؟ (ونظرت الى زوجها الذى لا يراها وقالت بسرعة كالمستدركة) أو نرى لنا فى الطفل رأياً آخر

فقال الرجل بلهجة السأمان « أرضعيه أولا . . اذهبى ، فما ندرى كم ساعة له وهو ملقى ، وإن كان الذى يبدو لى من سكوته أنه لا يشكو شيئاً وأنه على الأرجح — كما قلت أنت — حديث عهد بالولادة .. على كل حال يحسن أن تعنى به الليلة كعناية الأم »

فانصرفوا عنه ، ومضت الليلة بسلام ، وجاءوا فى الصباح بمرضعة للطفل ، فقد أصر الرجل على اتخاذه وتبنيه ، وكانت زوجته حين رأت منه هذا الاصرار قد راحت تنكر عليه هذا العزم ، وتخوفه ما لابد أن يعانى من جراء وجوده فى البيت ، وتنذره الضجات والضوضاء وغير ذلك ، فان الأطفال فى سن الرضاع لا يوقرون كبيراً ، ولا يعنون براحة أحد ، ولا يبالون ما يكون منهم ، ولكن هذا لم يثنه عما صح عليه عزمه

ومضى عام ثم آخر ، وحبا الطفل ومشى ، ولم يفتر حنو الرجل عليه ، بل صار هو سلوته ، فكان يخرج به كل يوم ساعة فى الصباح وأخرى فى المساء . ولم يكن يبعد عن البيت لأنه مكفوف ، فكان يتمشى فى الحديقة الواسعة والطفل أمامه فى مركبته الصغيرة ، فاذا غادر البيت اكتفى بالطواف حول السور ، وكان كلما التقى بفردوس والطفل معه ، يتركه لها وينصرف عنها ، ولا يبقى معهما فى مكان ، وكان ذلك يسر فردوس فى أول الأمر لأنه يسمح لها بأن ترسل نفسها على سجيتها مع الغلام ، ولكنه لما تكرر من أبيها ، أزعجتها منه دلالة العمد فيه ، ولكن ماذا تقول أو تفعل

وكانت زوجته كثيرا ما تشير فى حديثها معه الى فردوس وأنه لا يبدو لها خاطب بين الأقرباء والأصدقاء العديدين ، فلا يقول الرجل شيئا ، ولكنها أضجرته مرة فقال لها « دعيها ، ولا تقلقى عليها ، فانى أحسب الطفل سلوة كافية لها » فسألته زوجته بلهفة « ماذا تعنى ؟ كيف يمكن ؟ »

فابتسم الرجل وقال « أعنى أن فى وسعها أن تفيض عليه من أمومتها الكامنة ؛ وكفى بهذا الطفل عزاء وسلوة مادام لا بعل لها »

وطال الأمر ، وشق على الزوجة أن الحبائل الكثيرة التى ألقتها لم تقنص أحداً ، ونفد صبرها وعجزت عن الكتمان فقالت بشجونها لزوجها ، وكان هو أيضا قد مل هذه الأحاديث التى لا تنتهى فسألها « هل يسمعنا أحد . . انهضى وانظرى » .

ففعلت وعادت فطمأنته فقال « إذن اسمعى — لقد كنت أوثر أن أظل ساكتاً لا أتكلم ، ولكنك أكرهتنى على الكلام . وإنى لضرير ولكن رأسى لم يعطله شىء ، فهل تذكرين كيف سافرت ابنتنا وقضت شهورا عند خالها فى ضيعته ؟ إنى ما زلت أذكر ذلك لأنى أعلم أنها لم تكن عنده ولا عند أحد غيره من أقرباء أبيها أو أمها ، وإن كنت أجهل أين أقامت كل هذا الزمن . . انتظرى . فلست ألومك ، بل أنا على العكس أثنى على حكمتك ، وحسناً صنعت ، وقد عادت بعد ذلك فجأة وأوت الى فراشها ساعة وصولها ، وظلت مريضة حتى كانت الليلة التى دق علينا فيها الباب ، وجاءنا الرجل بهذا الطفل . ومن حسن الحظ أن

المسألة الحبشـــية

بين ايطاليا وانكلترا

بقلم باحث دبلوماسى كبير

يجزع الكثيرون من خصوم الاستعمار وأبناء الامم المغلوبة لما أصابت ايطاليا بوسائل العنف الشائن من ظفر وتقدم فى غزو الحبشة ، وما أصاب الحبشة من خذلان وتضعضع فى مقاومتها للمعتدين على حرياتها ؛ ويجزع الكثيرون من أنصار السلام لما ينذر به ظفر ايطاليا على هذا النحو ، وما تنذر به المشكلة الحبشية كلها من خطر داهم على السلام

وقد يلوح لأول وهلة أن الفريقين على حق فى هذا الجزع ؛ ذلك أن ما أبدته ايطاليا الفاشستية من إقدام وجرأة فى انتهاك العهود والمواثيق ، وما ارتكبته فى سبيل مشروعها الاستعمارى من ضروب السفك والعنف ، وما لجأت اليه لسحق الأحباش من وسائل مجرمة مثيرة كاستعمال الغازات وغيرها ، ينذر بالويل كل أمة ضعيفة لا تقوى على مقاومة الاعتداء بمثله ، ويبعث اليأس فى نفوس الأمم المغلوبة ، لأنها ترى الاستعمار يثبت أقدامه ، ويزيد جرأة وعدواناً وعنفاً ؛ ولأن ما تثيره المشكلة الحبشية من خلاف بين بريطانيا العظمى وايطاليا ، وما يثيره فوز ايطاليا فى شرق افريقية من مخاوف على مصالح الامبراطورية البريطانية ومستقبلها ، ينذر بانفجار قد لا تقف عواقبه عند الخصومة الانكليزية الايطالية ، بل قد يؤدى إلى حرب أوربية عامة ينكب العالم كله بويلاتها وعواقبها

بيد أنه يجب ألا نبالغ فى تقدير الموقف بهذا المعيار القاتم ، فهنالك ظروف واعتبارات كثيرة يجب تقديرها إلى جانب هذه الظواهر المزعجة . ولنبدأ ببحث الموقف فى الحبشة ؛ فقد تقدم الايطاليون داخل الحبشة فى الأسابيع الأخيرة ، واستولوا على ولاية تجرى كلها ، وهى التى تقع فيها بحيرة تانا والنيل الأزرق ، وتقدموا أيضاً فى الجنوب ، وأصابوا الجيوش الحبشية بعدة هزائم شديدة ، وهم يزحفون بسرعة نحو العاصمة الحبشية ، وقد تسقط فى أيديهم قبل أن يظهر هذا العدد من (الرسالة) ؛ وفى الأخبار الأخيرة أن النجاشى قد غادر الحبشة مع أسرته إلى فلسطين على بارجة انكليزية بعد أن فقد كل أمل فى الدفاع والمقاومة ، ولكن هل يعنى ذلك كله أن قوى الحبشة الدفاعية قد أبيدت نهائياً كما يزعم الايطاليون ، وأن ايطاليا قد حققت ظفرها كاملاً شاملاً ، وأنه لم يبق عليها إلا أن تملى شروطها على الحبشة وعلى عصبة الأمم ؟ إن نظرة إلى خريطة الحبشة تنقض هذا الزعم ، فان التقدم الايطالى لم يجاوز حتى الآن المناطق الأمهرية ، ولم يتوغل الايطاليون فى الحبشة الأصلية بعد ، ولا زالت أمامهم دون الاستيلاء عليها مناطق وعرة ؛ والجيوش الحبشية لم تسحق كلها ولم تبد ، ولكنها اضطرت أن تتراجع أمام الغازات الخانقة وغيرها من الوسائل الفتاكة التى لم يحجم الايطاليون عن الالتجاء اليها خلافاً لكل قانون وميثاق حينما رأوا عجزهم عن التقدم بوسائل الحرب المشروعة ، وهى ما زالت تصمد للايطاليين فى الجنوب وحيثما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ؛ وإذا قارنا ما استولت عليه ايطاليا حتى الآن من أراضى الحبشة بما كان مقترحاً أن يعطى لها فى مشروع « لافال — هور » ألفينا أنها رغم انتصاراتها المتوالية لم تحقق بعد كل ما كان يراد أن يعطى لها بمقتضى هذا المشروع غنيمة باردة ؛ والفرق بين الحالتين أنها تدفع اليوم لتقدمها ثمناً فادحاً من المال والرجال

الرجل لا يعرف شيئاً — ولست أدرى كيف دبرت الأمر ، ولكنك على كل حال أحسنت التدبير ، ولولا هذه القابلة التى زعمتها ممرضة لاطمأن قلبى ، وأمنت الافتضاح ، ولكنها على ما يظهر استطاعت أن تكتم السر فالحمد لله . والآن وقد أحوجتنى الى الكلام أفلا يحسن بعد ذلك أن تعفينى من حديث الزواج التى لا تمليه ؟ »

فلم تقل شيئاً حتى سمعته يحدث نفسه ويقول « مسكينة . مسكينة »

فنهضت وسألته « أتعطف عليها »

فأشار بيده إشارة من يريد أن تذهب عنه وهو يقول « بلهاء »

ولم يدر بينهما بعد ذلك كلام فى الموضوع

ابراهيم عبد القادر المازنى

هـذا ومن الخطأ أن نعتقد أن مجرد استيلاء الايطاليين على الأراضى الحبشية يكفل تحقيق الأمانى الايطاليــة ، ويعتبر حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ؛ ذلك أنه يجب على إيطاليا إذا أرادت أن تستغل ثمار ظفرها ، أن تحتفظ بما استولت عليه من الأراضى ، وأن تسحق كل مقاومة من جانب الأحباش ؛ ولـكن المعروف أن دون هذه الغاية صعاباً جمة ، وأن إيطاليا ستلقى مدى حين مقاومة مستمرة من الأحباش ، وستضطر إلى أن تتكبد فى هذا السبيل جهوداً ونفقات قد تعجز عن الاستمرار فيها إذا طالت مقاومة الأحباش ؛ بل يرى بعض الثقات اليوم أن إيطاليا قد استنفدت بالفعل فى هذه الحروب الاستعمارية العنيفة كل موازدها القائمة ، وأنه إذا بدأ فصل الأمطار فى الحبشة قبـل أن تسحق مقاومة الأحباش بصورة حاسمة ، فان مراكزها وخططها فى الحبشة تعرض لأشد الأخطار

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك عاملاً حاسماً آخر ، وهو موقف انـكلترا من المسألة الحبشـية ومن إيطاليا ، وهو موقف ستكشف الأيام القريبة عن حقيقته

* * *

وعصبة الأمم ما ذا كان موقفها إزاء هـذا الاعتداء الشائن ؟ لقد بدأت العصبة بداية حسنة ، فأسندت تبعة الاعتداء إلى ايطاليا ، وقررت تطبيق العقوبات الاقتصادية ضـدها ؛ وكان للسياسة البريطانية أكبر نصيب فى تنظيم هـذه الحركة الدولية الخطيرة ؛ ولـكن فرنسا التى تربطها بايطاليا معاهدة صداقة خاصة واتفاقات سرية ذاع أمرها فيا بعد ، قاومت سياسة العقوبات رغم موافقتها نظرياً على تقريرها ، ووقفت الى جانب ايطاليا موقفاً كان له أكبر الأثر فى شل سياسة العقوبات ، وعجز عصبة الأمم عن تقرير عقوبات أخرى كانت ترتفع فرضها كتحريم اصدار الزيت والحـديد الى ايطاليا ؛ هذا ولم يبق سرا أن فرنسا تشد أزر ايطاليا فى هذه الحرب الاسـتعمارية بصفة إيجابية ، وانها تعاونها بالقروض السرية ؛ وهى من جهة أخرى تعرقل تصدير السلاح الى الحبشة من طريق جيبوتى ، خلافا للاتفاقات المعقودة فتزيد بذلك فى اضعاف المقاومة الحبشية وتمهيد السـبيل لتفوق الجيوش المعتدية

ولقد كان موقف العصبة إزاء هاتين السياستين المتناقضتين يدعو الى الرثاء ، فلا هى استطاعت رغم تأييد السياسة البريطانية أن تسير فى تطبيق العقوبات الاقتصادية على ايطاليا بالحزم الواجب تأييداً لمبدأ السلامة الاجماعية الذى تعمل باسمه : ولا هى استطاعت بأية وسيلة أن تحمل ايطاليا على وقف اعتدائها الصارخ ، أو قبول الصلح فى الحدود التى رسمتها منذ بداية الاعتداء ؛ بل ولا استطاعت أن تحمل ايطاليا على احـترام أبسط قواعد الحرب الشرعية ، والعدول عن الالتجاء الى الوسائل الهمجية الفتاكة من غازات قاتلة ومحرقة وغـيرها ضد شعب يكاد يكون أعزل إزاء وسائل التسليح الحـديثة ؛ وما زالت عصبة الأمم منـذ أشهر تجتمع وتسوف على غـير طائل ، وايطاليا تمضى فى اعتداء هو أشبه بالقرصنة المجرمـة منه بالحرب المشروعة ، فتمزق الأحبـاش محاربين ومسالمين بغازاتها وطياراتها ، وعصبة الأمم لا تكاد تجد ما تقوله إزاء هذه النذالة التى تثير استنكار العالم المتمدن بأسره ، إذا استثنينا بعض الجهات الاستعمارية الجشـعة التى ترى فوز ايطاليا عاملاً فى تثبيت أقدام الاستعمار فى أفريقية

* * *

على أن ظفر ايطاليا الحربى فى الحبشة لا يكفى لتسوية المسألة الحبشية مهما كان مدى هذا الظفر ؛ فى وسع ايطاليا أن تستولى عسكريا على الحبشة كلها ، ولـكن الاحتلال العسكرى لايمكن أن يعتبر مستقرا أو نهائيا ، ولا يمكن بأى حال أن يعتبر خاتمة المشكل ، ولابد أن تحسب ايطاليا أعظم حساب لموقف السياسة البريطانية ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ترى فى اسـتيلاء ايطاليا على الحبشة وتوسع الاستعمار الايطالى فى شمال افريقيه خطرا عظيما على سيادتها ونفوذها فى وادى النيل وشرق أفريقيه ، وترى فى نهوض ايطاليا الاسـتعمارية وفى اضطرام الروح الفاشستية بالأطماع والمشاريع الاستعمارية خطرا أعظم على سيادتها فى البحر الأبيض والبحر الأحمر وعلى مواصلاتها الاسـتعمارية التى تسهر على حمايتها بيقظة متناهية ، فالمسألة الحبشية فى ذاتها تحتل فى نظر بريطانيا مكانا ثانوياً ، ولـكن المسـألة الجوهرية هى ما يترتب على فوز ايطاليا واعتزاز الروح العسـكرية الفاشستية بهذا الفوز ، وهى روح اعتدائية أخذ يبدو خطرها فى البحر الأبيض ظاهرا ملموسا ؛

قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكي

الدفتريا

بين واحد سمها الفرنسي ، وكاشف ترياقها الألماني

وصل القارئ : بعد أن أثبت بارنج أن المصل المأخوذ من دم الشياه الناقهة من الدفتريا يقي الحيوانات من هذا الداء إذا هو حقن فيها ، حقنه في الحيوانات المريضة فعلا لعله يشفيها فشفاها . ففعل مثل ذلك في الأطفال المرضى فكان النجاح باهراً . وبدأت المصانع تصنع هذا المصل والأطباء يستخدمونه وذاع أمره واهتز الناس له

— ٤ —

ومع هذا النجاح فقد صدرت من الناس شكيّات ، وقد صدرت منهم انتقادات . وهذا أمر طبيعي ، فالعلاج الجديد لم تكن مؤكدة نتائجه كل التأكيد . فهو لم يشف من الأطفال المائة مائة عدًّا . وكيف يُرجى منه ذلك وهو لم يكن شفى من مائة الخنازير الغينية مائة كاملة ! وكان كذلك لبعض علماء الأطباء رأي نقّاد فيه ، فقد ذكروا أن الذي يحدث من الداء تحت جلد الخنزير ليس بحكم الضرورة واللزوم هو عينه الذي يحدث منه في حلوق الأطفال . وشاع أمر الحقنة ، وجرى المصل في دماء الألوف من الأطفال ، ولكن برغم ذلك مات بعض الأطفال من الداء شرّ ميتة . (ولو أن عددهم ربما كان دون الذي كان يموت قبلا) . وأخذ الأطباء يتساءلون عن السبب . وفقدت آباء وأمهات آمالاً كبيرة تفتّتت بفقدها أكبادهم

وهنا عاد أميل رو إلى العمل ، عاد إلى ساحة القتال يحتل مكانه في صدرها . فاكتشف اكتشافاً مجيداً : طريقة سهلة هينة يحصّن بها الخيل من سمّ الدفتريا ؛ طريقةً لا يموت فيها حصان ولا يطفح على جلده منها خُرّاجات أليمة ذميمة ؛ وخيرٌ من هذا أنها طريقة تأتي بالكثير الوفير من ذلك المصل الحصين وبه ذلك الترياق الغالي الثمين . وكان مصلاً قويّ المفعول يذهب القليل منه بالسم الكثير الذي يقتل عدّة من كلاب كبيرة

وآمن رو بأن هذا الترياق سيشفي الأطفال لا محالة . وآمن به قبل أن يجهزه إيماناً كايمان بارنج أو أشدّ منه تأكداً . تركّز فكره على علاج الداء ، واجتمع مقصده على شفائه ، فلم يفكر قط في منعه . ونسي ما كان وَصفَ من غرغرات . وظل يتردّد على عجل بين معمله ومَربط خيله ، تارة ضارباً محاقنه في أعناقها وهي صابرة ، وتارة حاملاً قوارير عظيمة البطون ملأى من دمائها وفي هذه الفترة كان نوع من الدفتريا شديد الخبث (هكذا ظن رو) يكتسح بيوت باريس . وفي « مستشفى الأطفال » كان يُحمل خمسون في المائة من مرضاه إلى بهو الأموات زُرْق الوجوه (أو هكذا أثبت الاحصاء) . وفي مستشفى تروسو Trousean كان يموت ستون في المائة (ولو أن السجلات لم تذكر في جلاء أن الأطباء استيقنوا أن الذين ماتوا إنما ماتوا من الدفتريا لا من غيرها) . وفي الأول من فبراير عام ١٨٩٤ جاء رو إلى « مستشفى الأطفال » بوجهه المسنون وأنفه الأقنى وصدره الضيّق وقلنسوته السوداء ، فدخل إلى رواق الأطفال المرضى بالدفتريا وهو يحمل قوارير ملأى بهذا السائل الأصفر المعجز من المصل

وفي هذه الساعة ، في المعهد الشهير بشارع ديتو ، في حجرة المكتب هنالك كان يجلس رجل شيخ مشلول ينتظر خبراً ساراً يأتيه من رو . . . . وكان هذا الشيخ تبرق في عينيه بوارق الأمل فينسى أحبابه وأعزاؤه أن الموت انتقاه وأعلمه ثم تركه وعن قريب يعود في طلب المتروك تاركه . . . . . هذا بستور جلس في غرفة مكتبه من ذلك البيت العتيق لا يود أن يبرحها ويُسْلِم للفناء زمامه حتى يأتيه الخبر اليقين بأن تلميذاً من تلاميذه تمكن من محو داء آخر من الأدواء الخبيثة بهذه الحياة الدنيا

وغير بستور كان حول رو أمهات باريس وآباؤها يرجونه الاسراع في تجهيز علاجه رحمة بأولادهم من مرضى ومريضات — فقد كانوا سمعوا بذلك العلاج العجيب الذي ابتدعه الدكتور بارنج . وقالت طائفة منهم أنه يكاد يحيي الموتى ويستخلص

الأطفال من براثن هذا الداء بعد أن تنقطع فيهم الآمال . وكان رو يتلفت حوله فيستطيع أن يرى الناس رافعة أيديها إليه تطلب الرحمة والغياث

جهّز رو محاقنه وقواريره بذلك الهدوء وذلك البرود اللذان أثارا اعجاب الفلاحين فى تلك الأيام الخوالى حين قام رو فى حقولهم يضرب لقاح الجمرة فى بهائمهم فى قرية پويبى لوفرت . وقام عوناه مرتان Martin وكايو Chaillou فأشعلا مصباح الكحول وأسرعا اليه فى لهف وتأهب لاجابة الأمر تنفتح عنه شفتاه ، ونظر كوخ إلى الأطباء وهم فى حَيْصَ بيص لايدرون ماذا يصنعون . ونظر إلى الوجوه الصغيرة وهى فى زرقة الرصاص ، وإلى الأيدى الرقيقة وهى تُهبّش فى ألحفة الصوف ، وإلى الأجسام وهى تتلوّى فى الفراش تطلب أنفاساً قليلة من ذلك الهواء الغالى فلا تكاد تجدها . ثم نظر إلى محاقنه ممعناً وسأل نفسه : أحقاً فى هذا المصل خلاص هذه الأرواح ؟ فما أسرع ما انشطرت نفسه شطرين عند هذا السؤال ، فكان منها نفسان : النفس الأولى نفس الانسان الحنّان ، والنفس الأخرى نفس العالم البحاث

قالت الأولى تجيبه بقوة : « نعم ، نعم فيه خلاصها »

وقالت الثانية فى همس وخفوت : « لا أدرى ، والحكم للتجربة ، فهيّا بنا اليها »

قالت النفس الحنون ، وقال معها الآباء القانطون وكلهم يتوسلون ويرجون : « لا تفعل ! لا تفعل ! فان التجربة تقضى باعطاء المصل لبعض الأطفال وحبسه عن بعضهم ، وهذا فى شرعة القلب حرام »

قالت النفس الباحثة : « نعم إنه عمل غير هيّن وقساوة تتلذع منها القلوب . ولكن ما الذى أنا صانعته ؟ ! إن هذا المصل شفى الأرانب فما الذى يدرينى أنه يشفى الأطفال والانسان ؟ لا بد إذن من العلم ، لا بد من كشف الحقيقة ، والحقيقة لا تكشف إلا إذا نحن حقنا به نصف الأطفال المرضى وأعفينا النصف الآخر ، ثم قارنا عدد من يموت فى النصف الأول بعدد من يموت فى النصف الثانى ؛ بهذا ، وبهذا وحده ، نستطيع أن نعلم الأثر الحق الذى للمصل فى شفاء هذا الداء »

قالت النفس الحنون : « ولكن هب أنك وجدت المصل يشفى ، فانظر ما تكون مسؤوليتك عن مئات الأطفال الذين يموتون لأنك حبست عنهم هذا المصل ، هذا الترياق »

إنه تخيير مؤلم لاشك بين خُطّتين صعبتين : على أن رو ذا العقل الصرف فاتته حجة ما كان أولاه بإيرادها فى هذه المناظرة بينه وبين رو ذو العاطفة الصرف ؛ لقد كان فى استطاعته أن يقول : « إننا إذا لم نتبع طريقة العلم ، طريقة التجربة ، إذاً لانخدع الناس فظنوا أنهم وقعوا من هذا المصل على علاج كامل للدفتريا ، وإذن لكفّ البُحّاث عن طلب علاج جديد لها ، ثم تتوالى السنون يموت ألوف من الأطفال بسبب هذا العلاج المزعوم ، ألوف كان فى الامكان اعفاؤها من الموت لو أننا اتبعنا طريقة البحث الصحيح على ما بها من قساوة . . . »

إن فى هذا الحجة جواب العلم الدامغ لكل ذى رأى يقوده قلب . ولكن رو لم يُصغ إليها ، ومن ذا الذى يلوم هذا القلب أن يتنكّب الطريق القاسية التى تؤدى وحدها الى علم الحقيقة . وتجهّزت المحاقن ، وجرى مصلها اندفاعا تحت جلود الأطفال فانتفخت به ، بدأ رو فى أداء رسالة الرحمة ، ولعلها رسالة الخلاص كذلك ، فحقن فى المستشفى فى الخمسة الأشهر التالية من الأطفال المهدّدين بالموت زيادة على ٣٠٠ طفل . ثم ظهرت النتائج ! ألا حمداً لله فقد كانت نصراً لرو ذى القلب الانسانى الرحيم ، فما انتهت تجاربه فى هذا الصيف حتى قام فى مؤتمر جمع نوابه الأطباء وخيرة العلماء من أصقاع الدنيا فقال لهم : « إن حالة الأطفال إذا حُقِنوا بالمصل تتحسن سريعاً . . . فلا يكاد يقع الناظر فى عنابر المستشفى على وجه فاقد اللون أزرق كالرصاص . . . بل على النقيض يجد الأطفال فى نشاط وابتهاج »

واستمر يصف فى بودابست للمؤتمرين كيف يذهب المصل بهذا الغشاء المخاطى الرمادىّ الذى يتكون فى حلوق الأطفال وعليه تتكاثر بشلة الداء ومن فوق بساطه ترمى بسمها القاتل ، ووصف لهم كيف يذهب هذا المصل بحُمّاهم كذلك : كان كنسمة باردة هبّت من بحيرة شمالية على مدينة جنوبية فمرّت على أفاريزها وهى تتقد ناراً . فهتف له هذا المؤتمر الوقور ، وقام له أطباؤه الأشهرون على أرجلهم إكباراً له وإعجاباً بالذى أتاه

ومع هذا — ومع كل هذا — وبرغم هذا المصل العجيب .

التربية الوطنية الاستقلالية

وأثرها فى بناء الأمة

للأستاذ محمد عبد البارى

عماد الأمة

عماد الأمة أفرادها . ومتى كانت مواد البناء متينة التكوين سليمة الوضع كان البناء قوياً على احتمال تصاريف الأيام ، والتغلب على صدمات الحادثات . وما مادة البناء فى الجماعة سوى الفرد . فكيف يكون قوياً لتقوى به الأمة ؟

مشاهدات الحاضر

يلوح لى أن استعراض الوقائع لاستخراج الحقائق أقرب سبيلاً إلى صحة الحكم ، وآمن عاقبة من التحليل النظرى المجرد . وأخذا بهذا فانى أضرب بالانجليز مثلاً للأمة القوية . وأحاول باستعراض بعض الظواهر للوصول إلى سر هذه القوة . وإنى إذ أفعل هذا لست مأخوذاً بقوة المسيطر ، ولكنى إنما أتعرف سر قوة الغير لنحتذى مثاله ، ومن قبل احتكت اليابان من نحو خمسة وثمانين عاماً بالغرب ، وآنست منه قوة لاقبل لها بها فداورته ، ثم حرصت على تعرف سر قوته واتخذت سبيله . فلما أحست من نفسها القوة تحررت مما فرض عليها الغرب من قيود ، ثم صارت موضع خشيته ورهبته . والقوى يتقى دائماً التصادم بالقوى .

من أشهر حوادث التاريخ الدستورى ما يسميه الانجليز بالعهد الأعظم ؛ وهو مجموعة قواعد غير منمقة ؛ هى فى الواقع شروط يتقيد بها الحاكم ، وهى تنبئ عن روح استقلالية أصيلة ، ودرجة حرص القوم على المحافظة على ذلك العهد تؤكد أنه وضع عن عقيدة ، وأنه يعبر عن شعور الأمة بحقها وكرامتها وقوتها . فلما هوجم دافعت عنه الأمة عن عقيدة راسخة فانتصرت . حدث أن أحد ملوك انجلترا ، وكان متشبعاً بتعاليم الفيلسوف الانجليزى « هوبز » نقض ذلك العهد باصدار أوامر تخالفه . غير أن أحد الكافة أبى أن يعترف بحق الملك فى المخالفة ، فامتنع عن تنفيذ الأمر . فلما أوذى المعترض ثارت الأمة ، وتخلصت من ناقضى عهدها استمساكا بدستورها ومحافظة على كرامتها

والمعترض لم يصدر إلا عن عقيدة . وكان مستقل الرأى أبىّ النفس شجاعا بدليل أنه لم يرهب جسامة ما أقدم عليه . ولم يك بالشاذ فى بلده بدليل أن سواد الشعب جاراه وانتصر للحق إلى النهاية . وهذا العمل الخطير لا يمكن أن تأتيه جماعة إلا إذا كانت الروح الاستقلالية قوية فيها ، وكان الشعور بكرامة الانسان غالباً فى أفرادها والاعتداد بالنفس صفة غالبة فى بنيها . كان الفيلسوف « هوبز » ينادى بحق الملك المقدس فى الحكم طبقاً لمشيئته لا استنادا إلى إرادة الأمة . وكان مربياً للملك المشار اليه . ولكن النفسية الانجليزية لم تهضم هذه التعاليم ؛ وكان يعجبها ما قرره الفيلسوف « لوك » ؛ وهو أن الأمة مصدر السلطات ، وأن الملك يستمد سلطته منها ، وليس صاحب حق مقدس يحكمها طبقاً لهذا الحق المقدس فلا يتقيد بارادتها . فلما تعارضت الفكرتان عملا كانت الغلبة لما يدين به سواد الانجليز ، لأن تربيتهم الاستقلالية أبت عليهم الخضوع لما لا يتفق مع الكرامة الانسانية ، فثاروا دفاعاً عنها وانتصروا لأنهم عملوا عن إيمان راسخ

التربية الاستقلالية مصدر الشجاعة الأدبية والاقدام والشجاعة توحى للمرء بأن يقول « لا » كلما وجب أن يقولها ، و « نعم » كلما وجب أن يقولها ، سواء أكان مخاطباً نفسه أم غيره . والاقدام يدفع المرء الى العمل بما يعتقد مهما كانت النتيجة وقد دلت التجارب على أن العامل عن عقيدة قلما يخفق لأن الايمان الراسخ فى ذاته قوة يعز التغلب عليها

لو لم تكن روح الاستقلال متغلغلة فى نفوس الانجليز لرسخت فيها تعاليم « هوبز » دون تعاليم « لوك » ، ولمر نقض العهد وهو الدستور كأنه حادث عادى ، ولاعتاد الحكام التصرف طبقاً لمشيئتهم ، ولكانت الجماعة عرضة من حين لآخر ، للاحتكاك بين أنصار الطغيان وأعوان الحرية ، ولبطؤ سيرها الى الأمام

لكن النفوس كانت متشبعة بالحرية والاستقلال فدافعت عما وضعته من شروط لتولى حكمها . وأظهرت وجوه ... س

بعملها التاريخي . وعرف الحكام منها ذلك فلم يحاولوا نقض العهد وعاشت وعاشوا في هدوء . فاستطاعت الأمة التمتع ببركة الهدوء في ظل الحرية ، وانصرفت بكل قواها الى ترقية شؤونها ورفع مستوى الفرد فبلغت قمة المجد ، وكانت عزيزة الجانب بوجه عام حتى اليوم . تلك حادثة من أبلغ حوادث التاريخ الانجليزي في الدلالة على أن قوة الأمة في تغلغل روح الاستقلال بين الأفراد وفيما ينشأ عن التربية الاستقلالية من شجاعة واقدام

وانا أورد مثلا آخر أدلل به على ما تربح الأمة من تشبع الفرد بروح الاستقلال . ففي الحادث المتقدم كان العمل شعبياً ، وفي الحادث التالي كان العمل فرديا

في سنة ١٨٣٩ نجحت انجلترا في تأليب قوى أوروبا على مصر لتأمن الخطر الذي توهمته من قيام جماعة قوية على ساحلي البحرين الأحمر والأبيض المتوسط . انتهزت الفرصة السانحة بتهديد الجيوش المصرية الآستانة نفسها فأقنعت طائفة من قوى دول أوربا بالاشتراك معها في حمل « محمد علي » على قبول شروط فرضتها عليه ، وهو الغالب تحد من قوته ، ونجحت بهذا وببث الثورة في سوريا ضد المصريين في الاستيلاء على عكا وفي ضرب الجيوش المصرية بسوريا ضربة حاسمة

فلما تم ذلك بعث القائد العام وهو انجليزي ضابطاً بحرياً انجليزياً لاستطلاع قوة المصريين بالاسكندرية ، وأبحر الضابط فاقتنع عند ما وصل المياه المصرية أن من السهل ضرب الاسكندرية ، ولكنه في نفس الوقت علم من ثقة أن البر يموج بقوة منسلحة تسلحاً عظيما ، وفكر أن الاشتباك مع محمد علي بمصر قد يجر إلى مثل موقعة رشيد سنة ١٨٠٧ ورأى أنه من الممكن التفاهم مع محمد علي على الشروط التي فرضها المتألبون ورفضها محمد علي ، إذا ضمن له الضابط جعل حكومة مصر وراثية ، لما استوثق من ذلك دخل رأساً في مفاوضات مع محمد علي واتفق الطرفان . ولما أنبأ القائد العام بذلك احتج عليه وأرسل إلى حكومته يحتج ، ولكن الضابط استمسك بوجهة نظره لأنه أيقن بأنه خدم بلاده ودافع عن هذا الرأي لدى الحكومة الانجليزية رأساً وانتصر له وزير الخارجية الانجليزية وأبرم الاتفاق الذي وضع أساسه هو فكان معاهدة لندن سنة ١٨٤٠

والحادث يدل على أن الضابط البحري لم يفهم أنه مجرد أداة بل فهم أنه عنصر فعال في بناء مجد أمته . فلما رأى الفرصة سانحة انتهزها بالرغم من مخالفة هذا التصرف للواجبات العسكرية ؛ فلما لم يرض رئيسه عن هذا لم يرهبه سخط الرئيس ولم ينس غرضه ولم يتقهقر وتغلب رأيه أخيراً

نظر الضابط الصغير كما نظرت حكومته إلى جوهر الموضوع لا إلى شكله ، والحادث بالنسبة للحكومة الانجليزية وبالنسبة للضابط البحري دليل على تأصل الروح الاستقلالية وعلى عظم أثر هذا التأصل في صحة الحكم على الأشياء

تلك الروح الانجليزية التي استعرضنا بعض مظاهر عظمتها هي التي أبت عليهم الخضوع لتهديد اسبانيا ، فلم يخرجهم هول قوة الأرمادا « اسم الأسطول الاسباني » عن رباطة جأشهم وكانت الغلبة لهم ، وهي نفسها التي أبت عليهم الخضوع لنابليون ، وهي التي تلهمهم قبول حكومة المحافظين تارة وقبول حكومة العمال تارة أخرى مع ما بين مبادئ الحزبين من تفاوت ، وهي التي جعلت القاضي الانجليزي مضرب المثل للقاضي الصالح ؛ وهي بالاختصار التي وضعت الانجليز للآن هذا الوضع الممتاز في التاريخ العصري

عبر التاريخ

ضربت المثل بالانجليز عامدا لأنا نخاطب القوم اليوم في تحديد علاقاتنا بهم . وأضرب المثل بالعرب لأني أكتب هذه الكلمة يوم الاحتفال بمستهل العام الهجري

نشأ العرب على الحرية والاستقلال لا يشوبهما إلا خضوعهم لأوهام باطلة وعادات مرذولة ؛ فلما تطهرت نفوسهم باعتناق الدين الحنيف تحرروا من قيود العادات والأوهام التي لا تتفق والكرامة الانسانية

إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من أروع أمثلة التاريخ في استقلال الرأي والصلابة في الحق ؛ ولكنه نبي يعمل في حدود رسالته بما يوحى به الله ، بيد أنه بث في أصحابه تعاليمه المطهرة للنفس ، والملهمة لروح الاستقلال ، فكان هذا مع نشأة العرب الحرة السبب في سرعة تقدمهم بعد اعتناق الاسلام

في أولى غزوات النبي ارتأى وهو في مركز القائد الحربي أن ينزل بقوته في نقطة معينة ، ولكن أحد أتباعه اعترض

على هـــذا فى أدب وكياسة ، فلما تبين للرسول صواب رأى نصيره أخذ به

إن الروح التى أملت على التابع المتفانى فى حب نبيــه اعتراض رأى هذا النبى ، والتى دعت النبى إلى قبول رأى أحد أتباعه ، هى روح استقلالية ، فلا خشية فى الحق من جانب الصحابى ولا تعصب للذات من جانب النبى

لـمـا قبض النبى لم يتحيز أتباعه لأهل بيته ويختاروا أحدهم خليفة ، بل اختاروا أبا بكر لأنهم رأوا صلاح الجماعة فى ذلك الاختيار ، والروح التى أملت هذا إنما هى روح الاستقلال والحرية

خطب أعظم خلفاء محمد فى الناس فدعاهم جهرة إلى تقويم اعوجاجه إذا رأوه أعوج ، فرد أحد الحاضرين بقوله : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيوف »

رأى عمرو بن العاص أن تفتح مصر ، ولم يكن الخليفة عمر ابن الخطاب يرى رأيه . ولـكن القائد أقنع الخليفة بصواب الفتح فزوده بالرجال ليمضى فى تنفيذ مشروعه ، ولـكنه تخوف ثانية ، وبعث له يسترجعه ، وقدر عمرو ما فى الرسالة ، فلم يفضها ، ومضى فى سبيله حتى نزل أرض مصر . وأصبح مضيه أمراً لا بد منه

والحادث يدل على عدم الاستبداد من جهة الخليفة ، وعلى الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة بها من جانب القائد

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا تقصى الحوادث التى من هذا النوع . فلنكتف بهذه الأمثـلة للدلالة على أن نشأة العرب المستقلة ، وتعاليم الدين الحاضة على الحرية والمساواة والاعتماد على النفس ، جمعت فى العرب الاستعداد الفطرى بحكم النشأة الأولى والتعليم الرشيد ، والايمان القوى بالعقيدة الاسلامية ، وحسن تفهمها ؛ فسادوا العالم فى سرعة أدهشت المؤرخين ، ونشأت أمة عربية ، قوية الأركان ، شامخة البناء

وفى كل عصر ، وفى كل بيئة تنجح الجماعة إذا سادت الحرية فى تصرفاتنا مع الغـير وفى تناول ذواتنا ، أعنى حرية الجهر بالرأى والانطلاق من قيود التعصب للذات . بهاتين الصفتين نجح العرب وتقدموا وسادوا ، وبهما تقدم الانكليز وقويت شوكتهم وسادوا ، وبالاستمساك بهما نقوى ونسود ؛ فالتاريخ القديم والحديث مزدحمان بالأدلة على أن التربيــة الاستقلالية هى أقوى دعائم الأمم ، وإذا كان هذا أمرها فما سبيلها ؟

« يتبع » **محمد عبد البارى**

الملك أحمد فؤاد الاول

كمسلم وعالم

للأستاذ عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمى العربى

لـمـا نعى الناعى المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول عاهل مصر العظيم ملك الحزن على مشاعرى وأخذ اليأس من نفسى كل مأخذ ، لا لأنى من الذين تربطهم به أو بمملـكته رابطة شخصية فيريد أن يفى بعض حقهما عليه ، ولا لأنى أبتغى من وراء اصطناع الأسى أجراً أو شـكوراً ، بل لأنى من أولئك المسلمين الذين يقدرون مصر الاسلاميــة حق قدرها ويعتبرونها اليوم أم البلاد وقبة الاسلام ومنبثق النور وبلد العلم فى العالم العربى ، وأن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها مدينون لها ولمسجدها الأزهر منذ ألف عام فهم يستنيرون بنورها ويستهدون بهديها ، ولذلك يرون لزاماً عليهم أن يعنوا بشؤون مصر ومصيرها وأن يشاركوها فى سرائها وضرائها ، ولأنى بدافع من هذه الدوافع الـكثيرة من الذين سمعوا وعرفوا من خلال الملك الراحل وخصاله الغر الميامين ما يستحق الاجلال والاكبار من الناحيتين الاسلامية والعلمية فلم أتمالك عن كَـتْـب هذه السطور التى هى نفثة مصدور فأقول :

الملك أحمد فؤاد كمسلم

منذ نصف قرن ونيف والاسلام تتجاذبه عوامل الأخذ والرد بسبب هذه الثقافة الجديدة التى يظن حملتها أن لا بأس من ادخال التـطور فى جميع مناحى الحياة حتى فيما يتعلق بالعقائد والأديان والعرف والعادة حتى رأينا من بعض الأمم الاسلاميــة بعض الشذوذ تحت ستار التمدين فصار الالحاد مدنية ونبذ العقيدة رقياً ، وأخذنا نسمع بما لم نألفه من نظريات علمية هدامة تنـكر الله والرسل وسارت بعض الأمم شوطاً فى هذا المضمار الشائك الذى سينتهى بها حتما إلى الهاوية وبئس المصير

فى مثل هــذه الحوائق اعتلى عرش مصر الملك الـ[illegible] فلم

تبطره بهرجة الملك ، ولم تؤثر على عقيدته تلك النزعات والنزغات بل ظلّ على اسلامه الصحيح وعقله الرجيح

وإذا اعتبرنا أنه رحمه الله تعالى قضى أيام شبابه فى بيئة أجنبية أيام دراسته فى معاهد الغرب الكبرى التى لا تمت إلى الاسلام بصلة فان بقاءه مستمسكاً بعروة دينه محتفظاً بيقينه كان من نعم الله عليه وحجته على قوة إرادته .

وإن ننس فلن ننسى له المحافظة على زيه الشرقى فى عواصم الغرب بينا نرى بعض ملوك المسلمين وأقيالهم يقلدون الغربيين تقليداً أعمى حتى بلغ من بعض ملكاتهم النسج على منوال الملكات الغربيات والظهور بمظهر المدنيات الراقيات ، وليس فى ذلك من رقىٍّ ولا مدنية ، بل فيه خروج على التقاليد واللياقة وطعن فى صميم الكرامة وتبذّل غير محمود

فالملك فؤاد اقتعد الذروة فى هذا الخلق الاسلامى الكريم وضرب مثلاً أعلى للمسلمين ملوكهم وسوقتهم

الملك أحمد فؤاد كعالم

لو أننا تركنا جميع مآثر الملك المرحوم العلمية جانباً واقتصرنا فقط على أثره الخالد وهو لا يزال فى الامارة نعنى به الجامعة المصرية التى كان أول العاملين لها والحادبين عليها لكفاه شرفاً ونبلاً

فهذه الجامعة التى ترأسها وتعهّدها وصرف من قوى نفسه ونفيسه على نموّها وازدهارها هى مفخرة المفاخر بما قدّمته لمصر من الخدم العلمية الجلىّ . وها نحن أولاء نرى ثمارها دانية القطوف على أيدى أساتذة جهابذة يخرجون لنا فى كل عام مئات من الناشئين يملأون أرض الكنانة وبلاد العرب علماً وحكمة

والحق أن الجيل المصرى الذى عاصر أيام حياة الملك المرحوم كان سعيد الحظ بما وجد أمامه من المسهلات والمشوقات والمرغبات العلمية الكثيرة

وأنا كرجل يُعنى بالتاريخ الاسلامى أذكر للمليك الراحل عمله المشكور فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصريّة ، فقد أمر رحمه الله تعالى بتأليف لجنة لهذا الغرض ووضع تاريخ يستخرج من الدفاتر والوثائق الرسميّة ، وكان صديقى المرحوم أحمد تيمور باشا من أعضاء هذه اللجنة ، وهو الذى أعلمنى بذلك فى حينه

وكان من دواعى الغبطة للمؤرخين الاسلاميين ظهور مجموعة عزيزة المنال ، تتضمن الأوامر الصادرة من حكام مصر إلى عامل الواحات من زمن الفاطميين إلى زمن الخديو اسماعيل رحمه الله تعالى ، وهى الأوامر نفسها لا صورها

يقول المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه لى : « ولا أظنّ نظيراً لهذه المجموعة فى الدنيا ، وقد بحثت عن سبب حفظ هذه الأوامر جميعها كل هذه المدة فى تلك الجهة النائية ، فأخبرت أن العادة فيها من القديم أن يُحفظ كل ما يصدر من الحكام إلى عاملها فى مكان خاص بالمحكمة الشرعية ، وبهذا تيسر حفظها . وقد رأيت بها من توقيعات الملوك كالغورى وغيره الشىء الكثير ، وكذلك توقيعات حكام الفرنسيس مدة احتلالهم لمصر وهى بالأفرنجية ، ولكن الأوامر بالعربية ، ولا أخفى عليكم أنى متلهف إلى الآن إلى صورة شمسية من هذه المجموعة ، ولكن « فيا دارها بالخيف » . اه

إن من حسن توفيق الله ظهور هذه الوثائق الاسلامية على يدى المرحوم الملك ، فلولا تفكيره فى تدوين تاريخ رسمى للدولة المصرية لما استطعنا الوصول اليها ، ولا الوقوف على تفكير أول قاض شرعى وضع الأساس فى جمع هذه الوثائق والمستندات القيمة فى تلك البلاد النائية البعيدة عن العمران المزورّة عن مدنية هذه الأيام

وأظن أن المساعى المتواصلة التى بذلت فى شأن هذا التاريخ قد أنتجت نشر أجزائه الأولى باللغة الفرنسية وستتبعها النسخ التركية والانكليزية والعربية طبعاً

إن مثل هذا الملك القوى العقيدة ، الراسخ الايمان ، العالم العامل البعيد مدى التفكير ، مما يُبكى عليه ، ويُحزن لفقده . ولكن فى خليفته وخلفه جلالة فاروق الأول خير عوض ، وأحسن عزاء لنا ، ورحم الله الشاعر العربى الذى قال فى حالة تشبه حالتنا هذه :

فالبث المحزون حتى تبسما هناء محا ذاك العزاء المقدما
شبيهان لا ينفكّ ذا الشبه منهما ثغور ابتسام فى ثغور مدامع

عبد الله مخلص
عضو المجمع العلمى العربى

ملخص محاضرة

اسبانيا العربيـــة

ألقى الدكتور استانسلاو كيروخا اى دى اباركا استاذ الآداب الاسبانية فى جامعة صوفيا محاضرة قيمة باللغة الاسبانية فى مدرج الجامعة السورية بدمشق عنوانها « أسبانيا العربية » وقد لخصها الأستاذ لبيب الرياشى فيما يلى :

***

قسم المحاضر الكريم المنصف بحثه هكذا :

١ — نظرة عامة فى الفتوح العربية العالمية

٢ — افتتاح اسبانيا وتكوين مملكة عربية اسبانية

٣ — العلوم العربية والعمران ونوابغ العرب فى العلوم

٤ — سقوط الدولة العربية وأسبابه

٥ — الآثار الثمينة التى تركها العرب فى أسبانيا

المدنية العربية

إن اسبانيا بعد مرور خمسة قرون لا تزال عربية بدم سكانها وآدابهم وموسيقاهم ورقصهم وميولهم وحضارتهم

***

والمدنية العربية فى أسبانيا لا تزال إلى اليوم أسمى مدنية بريئة عرفها العالم

والكوكب الذى استنارت منه هذه المدنية أشعتها السامية هو « القرآن » وسيرة الرسول العربى

الفتوحات فى الاسلام

الخليفة فى الاسلام هو بمثابة قائد الجيوش العام ، والملك ، والبابا ؛ ورسالة الاسلام للعالم هى التبشير بالـه واحد ؛ ولما كان المسلمون يعتقدون أن من مات مجاهداً فى سبيل الله وهدى العالم يكون جزاؤه الخلد ، كانت الجنود الاسلامية تضحى دون ما خوف ولا رهبة ، فتقاتل قتال البطل الباسل ، وبهذا افتتحوا سورية سنة ٦٣٨ ، ومصر سنة ٦٤٠ ، وتغلبوا على امبراطور القسطنطينية وافتتحوا الدولة الفارسية سنة ٦٤٢

كما افتتحوا قسماً كبيراً من الهند سنة ٧٠٧ ، واكتسحوا الغرب وتونس والأرخبيل ومراكش ، ومن ثمة دخلوا اسبانيا منتصرين سنة ٧١١

ولم يذكر التاريخ أن امبراطورية بلغت من السعة فى الملك والكبر والمجد ما بلغته هذه الدولة الفتية

فتوح اسبانيا

لنبحث عن اسبانيا الآن : بعد أن افتتح العرب اسبانيا سنة ٧١١ على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد « ٩٢ هـ » بقيت مقاطعة أو إمارة تأتمر بأمر الخليفة ، ولكن فى عام ٧٥٦ استقلت المملكة العربية الاسبانية عن الخليفة الكبير

واتخذت هـذه المملكة المستقلة « قرطبة » عاصمة لها فأصبحت أغنى عاصمة فى العالم وأوفر مكانة بعناية مؤسس هـذه المملكة « عبـد الرحمن الأول » ، ورغم الثورات الكثيرة والاضطرابات العديدة ظلت هذه المملكة وطيدة الأركان من القرن الثامن إلى القرن الحادى عشر

وفى اسبانيا هـذه كان يعيش قسم كبير من المسيحيين ترك لهم الاسلام حرية معتقداتهم وعاداتهم وحافظ على كنائسهم

ملوك اسبانيا

ويعد أفضل من حكم اسبانيا العربية الملوك الثلاثة :

« عبد الرحمن الأول ، وقد أسس قرطبة الجميلة المجيدة

عبد الرحمن الثانى ، وقد مهد الطرقات وشاد الأبنية العمومية الفخمة وأسال الأمواه فى المجارى الهندسـية حيث لم يكن فى أوربا شىء من هذا

عبد الرحمن الثالث ٩١٢ — ٩١٦ عرف أنه كان أفضل ملك مثقف يحب العلم ويعمل على نشره ، وأقوى من جميع الملوك الذين عاصروه ، فقد نال انتصارات باهرة على الملوك المسيحيين الذين تحرشوا به حتى كان عدد كبير من الملوك الذين عاصروه يلتجئون اليه ويحتمون به

والحكم الثانى امتاز بحب العلم ونشر الثقافة ، ولقد أنشأ فى قرطبة مكتبة تحتوى أكثر من أربعمائة ألف مصنف

وفى عهد الخليفة هشام الثانى الضعيف الارادة تمكن المنصور وزيره الأول من محاربة الامارات المسيحية الثائرة

وسنة ١٠٠٢ اجتمع ملوك كابتجاليون وفقارا وباجتماعهم وتضامنهم تغلبوا على هذا القائد الجبار فى واقعة « كلا ثانياسير » عاصمة شوريا وهكذا لم يبق للعرب سـنة ١٠٣١ سوى إمارات صغيرة أشهرها سافيجا وتولوزا

العلم والعمران

لم يشتهر العرب بالبطولة الحربية فحسب ، ولكنهم اشتهروا بالعلم والشعر والاقتصاد ، وعرفوا بتنشيط العلوم ونشر الثقافة

اقتبس العرب جذوة من علوم اليونان والفرس — فأشعلوا من تلك الجذوة منارة مضيئة

أسسوا مدارس علمية فى بغداد ودمشق ، أما فى اسبانيا فقد أنشأوا كلية « سالرنو » فى قرطبة ، وهى الكلية التى كانت لغتها عربية ، وعلومها عربية ، وأخلاقها عربية ، وكل ما فيها عربى ، وهى أقدم مدرسة طبية فى أوربة كلها

وهكذا ابتدأ العرب يشتغلون فى الكيمياء فاستكشفوا الكحول ، وأسسوا قصورا ومساجد وجنائن ، وجعلوا الأرياف بساتين زاهرة زاهية ، جروا اليها المياه فى أقنية هندسية ؛ لذا نقول بحق إن العرب كانوا أكثر مدنية فى القرون الوسطى من أوربا كلها

وإنى لأقول بحق إن المدنية العربية الاسبانية ، نعم المدنية العربية ، كانت جوهرة ثمينة فى ثقافتها وعلومها الاجتماعية وعمران مدنها وازدهارها فى جميع نواحى الحياة ، حتى إن مدنية باريس ولندن فى هذا العصر لم تمتازا عن حضارة العرب فى تلك العصور

إن قرطبة كانت تحتوى على مائتى ألف منزل ذى بناء شاهق وفن متقن ، وعلى ٦٠٠ مسجد ومستشفى وقصور فخمة ، وعلى ٩٠٠ حمام وجنائن هندسية زاهرة ، وأكثر من نصف مليون من السكان ، ولقد أسس ملوكها مدارس فى كل مزرعة وقرية ومدينة ، وعلموا الذكور والأناث القراءة والكتابة حتى لم يبق فى أسبانيا العربية أمى واحد

ولقد كان فى قرطبة جامعة رئيسية ؛ والى هذه الجامعة كان يقصد عشاق العلم وطلابه ، ومن مفاخر هذه الرسالة العربية أن النساء كن يثقفن ثقافة كاملة شاملة

نعم النساء المخدرات كن يجدن القراءة ويعرفن التاريخ والفلك و . . .

وهكذا كان العرب الاسبانيون يشتغلون فى كل العلوم ، وعن العرب الاسبانيين صدرت شعلة الكيمياء والرياضيات

وأكثر الفنون التى أجادها العرب الاسبانيون : الهندسة والموسيقى والشعر . ومن الأبنية الكبرى التاريخية مسجد قرطبة وقصر غرناطة ، وتميز كل منهما بأقواسه وأعمدته وزخرفه

من النسل العربى هذا نحن أبناء اسبانيا ، نحن الذين لانزال نستعمل حتى اليوم الطبل والغناء والموسيقى العربية والرقص العربى

الزراعة والصناعة :

وعناية العرب فى الزراعة كانت بالغة الحد الأقصى والعناية التامة ، فهم الذين زرعوا النخل ، والرز ، وقصب السكر ، والقطن ، الخ ...

أما الصناعة فقد تفوقوا فيها ، وأسسوا معامل للجلد فى قرطبة ، والورق فى البندقية ، وهذه المعامل كانت أول معامل من نوعها فى العالم

وفى عهد المنصور شعت المدنية العربية فأنارت أشعتها العالم . أما الأسس التى ارتكزت عليها هذه المدنية ، أما القطب الذى كونها وأدارها وعززها فهو « القرآن » وسيرة الرسول العربى ليصلوا الى أمنيتهم السامية فى تكوين حضارة صحيحة

وهنا عدد المحاضر أسماء عشرات من نوابغ العرب فى أسبانيا ونابغات العرب فى العلوم والفنون

ثم تطرق بعد ذكرهم إلى تغلب النصرانية عليهم بسبب تفرقهم وتخاذلهم وتضامن الأمراء المسيحيين واتحادهم سنة ١٤٩٢

ولقد عرض مشاهد القصور والمساجد والجنائن بالفانوس السحرى ، فاذا هى من الروائع التى تخلب الألباب ، وقال :

نور الدين الاسلامى

المادة الأصلية فى المدنية الاسلامية العربية الاسبانية هى نور الدين الاسلامى ، الدين الذى يجارى المدنية والحضارة فى أرق وأسمى معانيهما

وأستطيع أن أصارحكم مؤكداً أن المدنية العربية هى فى الجوهر مدنية شعب يستوحى من الله

(قل هو الله أحد ، الله الصمد)

على أسس هذه العقيدة رفعت أمجاد الجامعة العربية الاسلامية ؛ إنها عقيدة دينية ، نعم ، ولكنها فى نفس الوقت أسمى قوة اجتماعية

وختم المحاضرة قائلاً :

انتهى الحكم العربى فى أسبانيا منذ خمسة قرون ، أجل :

الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينه جارد

للسيد اسكندر كرباج

تابع لما نشر فى العدد الماضى

فيسأل لامرتين ضيفته : هل أصابكِ فى حياتكِ ما أحزنكِ وصدع قلبك ؟ فتجيبه : مراراً قليلة ياسيدى لأنى خالية البال من حمد الله . غير أن لكل أتراحه على هذه الأرض ، ولا سيما إذا كان فتاة مثلى لا أسرة لها ولا أقارب ولا زوج ولا بنين ، تنام وحيدة وتستيقظ وحيدة لا تسمع فى داخل غرفتها إلا سقسقة عصفورتها فى القفص . ولكن شاء القدر أن يحرمنى هذه الرفيقة اللطيفة بعد أن ألفتها فلقيتها صباح يوم ميتة وقد ضمّت قائمتيها وفتحت منقارها وأطبقت أجفانها ، وبموتها حلّت الكآبة فى الغرفة فلا سقسقة ولا فرح ولا صداقة ، فما أحزن هذه الحالة ياسيدى . ثم تجفف دمعتين كانتا تترقرقان فى محاجرها وتزيد على قولها :

إذا لم يكن للانسان مَن يحبه ويعطف عليه من أبناء جنسه فانه يميل الى الحيوانات وعشرتها . كانت عصفورتى تحبنى ، وكثيرا ما داعبتها وتحدثت اليها كأنها تنطق وتعقل . يقولون ليس للحيوانات أرواح ، ولكن لو لم يكن لعصفورتى روح فبماذا كانت تحبنى ؟ أبريشها وقوائمها ؟ وسمعتُ أيضا أن فى الفردوس أشجاراً تتفيؤها الأطيار . فأنا لا أرى أقل بدعة فى هذا القول ، أيمكن أن يكون الله مع صلاحه وعدله مخاتلاً ؟

فيسألها لامرتين : هل كتبتِ شيئاً فى موضوع حزنك ؟

فتجيبه : نعم كتبت لما نظرت القفص فارغاً والنبتة جافة على شباك النافذة ؛ طفر الدمع فى عينى ، فجلست الى المنضدة ونظمتُ قصيدة ناجيت بها تلك العصفورة الرقيقة كأنها لا تزال حية تسمعنى ، ولكننى لم أستطع تكملتها لفرط حزنى

فيقول لها لامرتين : أسمعينى هذه القصيدة أو ما تتذكرينه من أبياتها ، ولا بأس إذا جاءت متقطعة فبغيتى أن أقف على مبلغ ما فيها من الشعور لا على تناسق قوافيها

فتعمل فكرتها قليلاً ، ثم تنشد بصوت رقيق ولهجة مؤثرة أبياتاً من الشعر فى وصف عصفورتها وما كان بينهما من الصداقة والألفة

فيشكرها لامرتين على ثقتها به واظهارها له مكنونات قلبها . ثم تأتى زوجته ، وبعد أن تستقبل رينه بشىء من تلك الدالة ، وذاك العطف الذى يفقد الغريب بعض حيائه وارتباكه تدعوها إلى العشاء تحت شجرة تداعب أغصانها نسمات البحر محدثة فيها حفيفاً لطيفاً ، كان يذكّر رينه بخفيف جناحى عصفورتها

ثم يقصدون إلى شاطئ البحر القريب ، ويجلسون على مقاعد زورق ، ويعودون إلى التحدُّث ، فتقول زوجة لامرتين لرينه : يظهر لى أنك ولوع بالمطالعة ، وهى التى جعلتك تتكلمين اللغة الوطنية بهذه البراعة ، والتعبير عن عواطفك بمثل هذا الشعر الشجى

فتجيبها رينه : نعم ياسيدتى ، إن المطالعة من أكبر أسباب غبطتى ؛ فبعد اشتغالى النهار كله ، وقيامى بواجب الصلاة لله ، لا أجد لذة إلا فيها ، فمن ينهض باكراً ويخيط حتى المساء يضطر إلى راحة أنامله وتسلية نفسه . إن علاقاتنا مع الجيران لا تتعدى تبادل التحية ، لأن النساء ينصرفن إلى إعداد الطعام ، أو إرضاع الأطفال ؛ والرجال بعضهم يرقد سريعاً لينهض باكراً إلى مواصلة عمله ، وبعضهم يصرف وقته وماله وصداقته فى الملاهى والمقاهى ؛ فماذا تفعل الفتاة المحتشمة مثلى لتمضية الليالى ، ولا سيما ليالى الشتاء الطويلة ؟ فاما أن تطالع ، أو أن تقف جامدة كالصنم

ولكن أسبانيا لا تزال عربية ، حتى فى القرن العشرين لا تزال شرقية ، لا فى جوامعها وأبنيتها وجنائنها فحسب ، بل وفى أخلاقها وعاداتها وموسيقاها ، ورقصها وشعرها ، وفى تهذيبها ومزروعاتها

ولهذا السبب تعلمون الآن أنى عندما شاهدت دمشق شعرت أننى أشاهد أسبانيا ، وإذا ذهبتم لمشاهدة أسبانيا شعرتم أنكم فى دمشق

من هذا تعلمون أيها العرب أننا إخوة : العرب والاسبان إخوة ، نعم إخوة لأن سلالتهم سلالة واحدة ، ودمهم دم واحد ، وهم من نفس واحدة تكونوا ، وثقافتهم ثقافة واحدة وتاريخهم تاريخ واحد ، وحضارتهم حضارة واحدة

تنظر إلى جدران الغرفة ، أو الى ارتفاع دخان الموقد

فتقول لها زوجة لامرتين : ولكن ما هى الكتب التى يمكن مطالعتها ؟

فتجيبها رينه : هنا البلية يا سيدتى ، نريد المطالعة ولكن لا ندرى ماذا نطالع . لقد وضعت الكتب للذين من غير طبقتنا فاذا استثنينا الانجيلين وكاتب تقليد المسيح لا نجد بين المؤلفين والمنشئين من فكر فينا وجعل قسما من أدبه لنفعنا . من الطبيعى أن يفتكر الانسان فى الذين من طبقته ، فواضعو الروايات والمآسى والمهازل ، وناظمو القصائد والملحمات ، هم من طبقة أعلى من طبقتنا ، أو بالحرى خرجوا من بيئتنا الخاملة العاملة ودخلوا فى بيئات الملوك والأمراء والأشراف والأغنياء والسعداء وغيرهم من الذين يصرفون أوقاتهم عبثاً وأموالهم على الأباطيل

فيقاطعها لامرتين : لا لوم عليهم إذا هم نسوا الطبقة التى خرجوا منها ، أو تركوها جانباً ، وانصرفوا إلى ارضاء أهل البيئة التى دخلوها ، فتلوا أفكارهم ، وتكلموا لغتهم ، وصوروا عاداتهم وأذواقهم ، فهذا الذكاء وهذه المعرفة وهذا الذوق المكتمل الدقيق الأنيق فى الطبقات العالية ، وهذه اللغة والعادات لا يمكن أن تكون كافة وعادات الطبقات الفقيرة قبل أن تسمو بالتربية إلى ادراك كنه هذه الأشياء الجميلة . كان للقدماء كتاب وفلاسفة وشعراء عبيد كابيكاتاتو واسابو وتارنسيو ، ولكنهم لم يخصصوا أدبهم بالعبيد ؛ وكان لهم سقراط ، ولكن أفلاطون اضطر الى شرحه لهم كما اضطر تلاميذ هذا ، وهم أكثر منه معرفة الى تفسيره . وكان لهم شيشرون ولكنه خصص معظم أدبه بأفراد أسرة السيبيون ؛ ثم فرجيلوس الذى كان ينشد قصائده الرعائية فى حضرة أميرات بلاط أوغسطس قيصر ، ولكن الرعاة الحقيقين لم يتفهموه ؛ ثم هوراسيو وقد كان ينشد الخمرة والحب المباح بقصائد من الشعر الحافل بالمعانى الملتبسة والصور المأخوذة عن اليونان والتاريخ ، غير أن شعوب عصره لم تكن تنشدها وتدركها

فتقول له رينه : هذا حق يا سيدى إذا استثنينا روبنصن وحياة القدسيين فما هى الكتب التى وضعت لنا ؟ ؟ نعم إن لدينا كتابين آخرين هما « تلماك » و « بول وفرجينى » ، ولكن الأول كتب لتهذيب حفيد الملك ، وهو مما لا يهمنا أمره لأننا لسنا من أحفاد الملوك ، والثانى يحرك قلوب الجميع ، لأنه يصف لنا جمال الحب وروعته فى قلبى حبيبين رقيقين لا يستطيعان الحياة منفردين ، وكيف أن مطامع أهليهما حالت دون اتحادهما واكتمال سعادتهما . إن فرجينى ابنة جنرال ، وكان لها عمة نبيلة أرادت أن تجعلها سيدة راقية ممتازة فأدخلتها الدير . إنها حوادث عجيبة ومشاهدات رائعة ، ولكنها حوادث لم تجر فى منازلنا وبين أفرادنا ، ومشاهد لم تقع عليها أبصارنا . فمن يكتب لنا الروايات والقصائد ؟ لا أحد ! أنا لا أدخل فى عداد الكتاب والشعراء والمؤلفين ، أولئك الذين يجمعون تقاويم تحمل بين ثناياها سخافات الأعوام الغابرة ونكاتها ، ويضعون روايات لا تستطيع العذراء مطالعتها إلا خلسة عن أمها ، وينظمون أناشيد تترفع الشفاه النقية عن التلفظ بها ، ولا أستثنى من هؤلاء إلا بيرانجر الذى أظهر آخرا جمال روحه فى رباعياته البديعة . فمتى يكون للفقراء مكتبة ؟ من يشفق علينا ويؤلف لنا كتاباً ؟

أبدت رينه نظريتها تلك برزانة تفوق معارفها ، وبلهجة تشف عن اعتقادها بفقر طبقتها الأدبى مما حمل لامرتين على الافتكار قليلا فى حقيقة ملحوظاتها وأهميتها . وبعد قليل قال لها لامرتين : لقد افتكرت فى كل ذلك يارينه ، أما الآن فقد تغيرت أفكارى بعد أن سمعت أقوالك . حقاً إن الشعب الذى يريد التعلم بالدرس والتسلية بالمطالعة والانتفاع بالخيال والتأثر بالشعور والارتفاع بالفكر ، إما أن يموت جوعا وإما أن يثمل بالفساد إذا لم يتنبه لنفسه . لذلك وجب أن تهتم الهيئة ، أو أن يخلق الله للشعب هوميروس عاملاً وميلتون مزارعا وطاسين جندياً ودانتى صناعياً وفنلون كوخياً وكورنيل وراسين وبوفون من رجال المعامل لكى يضعوا له ما لا تريد الهيئة الأثرة الكسول وضعه : أى أدبا يمثل عاداته ويعبر عن شعوره . إنى أعرض بالفكر ما فى المكاتب من المؤلفات النفيسة لأشهر الكتاب وأختار مجموعة صغيرة منها يمكن لأسرة نزيهة من المزارعين والعمال والخدم رجالاً ونساء كهولاً وشباناً أن تغذى بها حياتها الروحية ، وأن تتركها على الخوان بغير خوف ، وأن تطالع ليلاً وفى أيام الآحاد دون أن يعوزها مترجم أو مفسر ، فماذا وجدت ؟ وجدت التوراة كتاباً بديعاً حافلاً بالحكايات الشعبية كطفولة النوع البشرى ولكنها ملتحفة بالأسرار والعادات الشائنة والغيرة

والشرور وغيرها مما يفسد الروح والقلب والعادات فيما لو وضعت في يدي ولد أو تحت نظر الشعب الجاهل دون أن يوجد من يفسر معانيها ويهذب ألفاظها . ثم وجدتُ هوميروس وأفلاطون وسوفكلس وأسكيلوس ، ولكنهم عاشوا في عصر غير عصرنا ، وكتبوا بلغة غير لغتنا ، ووصفوا عادات غير عاداتنا ؛ ثم وجدتُ فرجيلوس وهوراسيو وشيشرون وجوفنال وتاسيت ، ولكنهم كتبوا باللاتينية والشعب لا يعرفها ؛ ثم وجدتُ ميلتون وشكسبير وبوبي ودرايدن وبيرون وكرابله ، غير أنهم من الانكليز ؛ ثم تاسو ودانتي وبترارکا ، وهم ثالوث الشعر الايطالي ؛ ثم شيلر وجيته وڤيلند وجزنر ، ففي كتبهم صفحات بديعة للشعب لأن الشعر الألماني ينزل الى درجة الشعب والشعب يرتفع اليه ولكنها بالألمانية ؛ ثم سرفنتس وكالديرون ولوبس فيفا ، غير أن كتاباتهم هي من النوع الحماسي الذي لا يمكن تجديده الآن ؛ ثم الشعر الشرقي السامي بحكمه ومعانيه من هندي وفارسي وعربي ، إنها كنوز مستورة من الخيال البشري ، ولكن هذه الكنوز الثمينة هي باللغات السنسكريتية والفارسية والعربية ، ولا يوجد من يكتشفها وينقلها الينا

ثم وجدت شعراءنا الفرنسيين القدماء وجل منتوجهم من النوع الروائي الحماسي ، وفي المغامرات الغرامية الوقحة والقوافي الأنيقة ، وكلها في وصف حوادث البلاط والطبقات العالية . هذا بسكال ، فكتاباته إما مناظرات اكليريكية حول جوهر العقيدة لا يفهمها البسطاء ، وإما أفكار عميقة لا يسبر غورها إلا القليلون . وهذا بوسويه ، فقد اشتهر ببلاغة تعابيره وقوة عارضته في الخطابة ، وكان يسره أن يرعد ويبرق فوق الرؤوس المتوّجة وفي قاعات البلاط ، ولكن بروقه لم تكن تصعق إلا الشعب الذي كان يستسلم روحا وجسدا إلى سيروس العصر ، فهو مجموعة روامز في اللغة والخطابة لا أكثر . وهذا أيضاً فنيلون ، ففي كتابه « تلماك » وفي المراسلات كثير من الأفكار السامية والمبادئ القويمة كالنفس المتدينة والفلسفة الانسانية والظرف والعطف وروح الفضيلة ، ولكنها صفحات بسيطة لا كتاب للشعب . ثم كورني فهو سياسي مختصر ، وقد وقف في مستوى لا يبلغه القلب البشري ، وأدبه كناية عن عدة مشاهد وأمثال واندفاعات شعرية لا ترضى الشعب الذي يريد الحياة بالاسهاب في شرح العواطف لا باختصارها ، والنفس في نظره هي العبقرية ، ونفس كورني كانت في الكلام كنفس تاسيت . ثم راسين ، فهذا ولد ليكون شاعر الشعب ؛ غير أن شعب عصره لم يكن خليقاً بهلسوء الحظ ، لأن البلاط الذي اجتذ به اليه احتفظ به ضد الشعب ، ولا يوافق هذا من أدبه إلا مأساتاه : « أستير » و « ثماليا » بالنظر إلى صبغتهما الدينية ، وما عداهما يخص الأبهاء . ثم ڤولتير وهو روح جبارة استوعبت كل المعارف والعلوم ، ولكن لم يخرج عن كونه مزيجاً من روح وعقل ونور ونقد ونعومة وخشونة وهزء وجذل وأحياناً وقاحة . إنه لم يكن قط نفساً وحناناً وحباً وعطفاً وشفقة على البائسين ؛ كان فيلسوف السعداء ونبيل الأذكياء وشاعراً ضئيل النور لا يتبينه جداً بسطاء القلوب ، يضيء في المكاتب ليخبو في الحقل أو في مسكن الفقير

وإذا نظرنا إلى مؤرخينا لا نجد بينهم من كتب للشعب ، فونتيسكيو كثير الغلو ، ورولين صالح ولكنه شديد الأمانة في ترجمة الماضي فلا يستطيع مطالعته من كانت ساعاته محدودة

وكذلك روائيونا فانهم اتخذوا أشخاص رواياتهم من الطبقات العالية وعبروا عن العواطف بلغة الأبهاء المنمقة لا بلغة الطبيعة الساذجة . فلا يصلح منها شيء للشعب

ثم فلاسفتنا كديكارت وملبرنش وكونديلاك وكل الحديثين ، فمها أعيد طبع مؤلفاتهم فلا أعتقد أن الشعب يقبل على مطالعتها ، لأن فلسفة الشعب هي في الشعور لا في الادراك ، فمنطقه غريزته ، وبرهانه تأثره ، واستنتاجه دموعه . ومن مؤلفات جان جاك روسو لا يصلح للشعب إلا الصفحات المائة الأولى من كتابه « خوري سافويا » وبعض فصول من « الاعتراف » ؛ وكذلك شاتوبريان لا يقرأ من مؤلفاته إلا « رينه » و « اتالا » حيث امتزجت الفلسفة بالدموع ، والحنان بالحب

أما مسارحنا فلا يمثّل عليها إلا ما كتب للملوك أو الطبقات المتأدبة بدليل انصراف الشعب عنها الى تمثيل الروايات الغنائية التي اخترعها لنفسه . وكذلك علماؤنا فقد كتبوا في الجبر بلغة واصطلاحات تجعل العلوم الطبيعية في حالة الغموض لمن لم يتمرّن عليها ، فالذي يجب أن يعبر عن العلوم بلغة الشعب البسيطة لم يخلق بعد . إنه خلق ولكن في انكلترا ؛ هو ابن هرسكل

لعبرة فى وفاة الملك

ديمقراطية الموت

للأستاذ محمود غنيم

الموت آية ، ولكن موت الملوك آية كبرى ؛ والموت عظة ، ولكن موت الملوك عظة بالغة

بالأمس تهجم الموت على ذلك الحرم المقدس ، واقتحم أسوار هذا الحصن المنيع الذى تغضى العيون حياء من مهابته ؛ ولا تلجه الشمس إلا بعد استئذان ؛ اقتحم الموت بلاط ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، والجالس على عرش فرعون ، فلم يحدد للزيارة ميعاداً ، أو لم يحدد له ميعاد ، ولم يلزم الباب حتى يُسمح له بالدخول كما تقضى المراسيم عند زيارة الملوك ، ثم مد يده فى أناة ورفق ، بل فى عنف وقسوة ، فسل روح الملك من جسمه ، كما تُسل كل روح من كل جسم ، ثم انصرف هادئاً مطمئناً ، كأن لم يفعل شيئاً ، فاذا الحرس واجم ، والسلاح كليل ، والطب يطرق حياء ، وجبين العلم يتصبب عرقاً ، وإذا الشرارة تنطلق فى القصر ، فيندلع لهيبها فى مصر ، ويسمع دويها فى الخافقين !

يا لله ! أيمرض فؤاد كما يمرض أى فرد ممن يظلهم عرش فؤاد ؟ كنا نظن عرشه حمى تتحاماه الأسد ، وتتقيه عوادى الدهر ، فما بال جراثيم المرض تنفذ إلى ذلك الحمى ، وما بال ميكروباته تتسرب إليه ، وما بال أهون خلق الله شأناً يفتك بأعظم خلقه شأناً ؟ حقاً إنه الموت ! ديموقراطى ، لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

يمرض الفقير ، فيرمى أهله بالتقصير ؛ يقولون : تهاونوا فاستفحل الداء ، أو أساءوا اختيار الأطباء ، فما بال الملوك يتقلبون على فراش المرض ، ويقاسون ألم النزع ، ويتجرعون كأس الحمام ؟

أيها البرق ، توعك مزاج الملك فطير الأنباء . أيتها الطيارات ، احملى من مختلف الأصقاع نطس الأطباء . أيها العلم هات أحدث ما تمخضت عنه معامل الكيمياء . وأنت أيها الموت مالك جامداً فى مكانك لا تريم ، هازاً كتفيك استخفافاً ، مفتر الثغر عن ابتسامة مروعة ، تسرح طرفك بين هؤلاء وهؤلاء ، فى سخرية واستهزاء ؟

أهكذا يُفعل بالملوك ؟ لك العزاء والسلوة أيها الفقير ! ليس المرض وقفاً عليك ، وليس الموت وقفاً عليك . إنك لا تتعذب وحدك أيها المسكين ، ولكن الملوك أيضاً يتعذبون ! الملوك الذين تنظر اليهم نظرة التقديس ، وتخلع عليهم ثوب الألوهية ، وتغبطهم فى يقظتك ، وتحلم بنعيمهم فى منامك ، والذين تعتبرهم مثلك الأعلى ، وتعتقد أن الخطوب لا ترقى إليهم ، وأن لهم عيشاً أنعم من الحرير وألين من الماء : هؤلاء يمرضون أيضاً ويموتون ، ولعلهم فى عيشهم محسودون بما هم منه باكون !

هذا هو ابن اسماعيل ، وحفيد ابراهيم ، تُستأصل نواجذه بلا مخدر ، فيحتمل راضياً أو كارهاً تعلقا بالحياة ؛ وتُشق لثته ثم تخاط بلا مخدر ، فيحتمل راضياً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ وتُحرّم عليه الأسرة ، فينبطرح على كرسيه ثم ينام أو لا ينام ، فيحتمل راضياً أو كارها تعلقا بالحياة ؛ وأخيرا ها هى ذى الحياة ، تتدلل تدلل الهيفاء ، وتجفو فتسرف فى الجفاء . وها هو ذا شبح الموت يقتحم البلاط ، رغم كل احتياط !

ماذا تقول النشرات الطبية ؟ — القيح ! التعفن ! التسمم ! أسماء تتداولها ألسنة العامة ، وكأننا كنا نخالها وقفاً على أبدانهم ، وما كنا نظن أنها تعرف الطريق الى ذوات الملوك ، ذوات الملوك المصونين عن العبث ، الموضوعين فوق القوانين ، الذين لا تنالهم الألسن إلا بالهتاف ، ولا الأفواه إلا باللثم ، ولا تطأ الشفاه أسماءهم إلا همسا ، ولا تنالهم الأيدى إلا بالسلام ايماء من بعيد ؛ فى هذه الذوات المقدسة تسرى سموم الموت ، وينشب أظفاره الموت ، والموت ديمقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

« لا أريد أن أموت » هكذا يقول الملك ؛ والملك إذا قال

فمن كل ما كتب بالفرنسية لا توجد إلا خمسة أو ستة كتب تصلح للطبقات الجاهلة فى المدن والقرى

يعلّمون الشعب القراءة ، ولكنهم لا يضعون له الكتب اللائقة به ، فهم إما أنهم يقدمون له مؤلفات كتبت لغيره أو أوراقاً محشوة بالنقائص والوقاحة كمن يقدّم سلاحا لطفل ليجرح به نفسه

« العصبة » يتبع

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

فكلمته مرسوم نافذ ، واذا أشار فاشارته قانون محترم ، وإذا أومأ فايماءته أمر واجب الطاعة ، ولكن الموت — قاتل الله الموت — لا يحسن الخضوع للمراسيم ، ولا يعرف كيف ينفذ القانون ، ولا ينحني أمام أوامر الملوك

مات الملك فى الشرق وكان ابنه فى الغرب ، وقد فصل القضاء بين الاثنين بحر وبر ، أليس من حق الراحل أن تكتحل برؤية ابنه عيناه قبل أن يفارق الحياة ؟ أمنية يظفر بها المغمور الصعلوك ، بله الأمراء والملوك ؛ أمنية يظفر بها المحكوم عليه وهو من حبل المشنقة قاب قوسين ، ولكن الملوك يتمنونها فلا يجدون اليها سبيلاً . إيه أيها الموت ! هلا تريثت قليلا حتى يؤوب الغائب ؟ إيه يا جنود سليمان ! هلا حملت النازح البعيد على أجنحتك التى حملت عرش بلقيس ؟ لا هذا ولا ذاك ، إذن فليتعز الراحل العظيم ، بكتاب ابنه الكريم ، ولكن كتاب الولد البار لا يكاد يصل الى الوالد الواقف على حافة الأبدية حتى يضن الموت أخيرا كما ضن أولا ، وحتى ترتعش اليد رعشة الموت ، فيتدحرج الخطاب ، وينسدل بين البصر وبينه حجاب ، ويلفظ القارىء نفسه الأخير ، ويكون آخر ما قبضت عليه يمينه كتاب ابنه المحبوب ، وآخر ما فاه به اسم ابنه المحبوب ، وآخر ما انطبع فى مخيلته صورة ابنه المحبوب

ها هو ذا الملك مسجى على سرير من ذهب لا يرد اليه الحياة ، مغطى بأكفان من الحرير لا تخفف من خشونة الموت شيئاً ؛ أمامه مباخر من عنبر لا تنفس من سكرة الردى ! النعش هو النعش ، حملته الأعناق ، أم جرته الخيول العتاق ؛ والقبر هو القبر من طين وماء ، أو من مرمر ورخام ، فى صحراء جرداء ، أو فى جوف هرم من الاهرام . أطلقوا المدافع ، ونظموا المواكب ، وأعلنوا الحداد ، ونكسوا الأعلام ، فلن تغيروا من حقيقة الموت شيئا . الموت هو هو ، ديموقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ، ولا يدين بالفروق بين الطبقات

مات الملك فورث ولى عهده تاجا وصولجانا ، ونهراً عذبا ، ومملكة فيحاء ، وأمة مطيعة مخلصة ، ولكنه بجانب ذلك فقد عطف الأب البار ، وحنان الوالد الرحيم ؛ فليت شعرى أخاسرة تلك الصفقة أم رابحة ؟ وأية الكفتين هى الراجحة ؟ ، لست أدرى ، ولكن الذى لاشك فيه أن كل شىء يمضى ويعود ، حتى العروش والتيجان ، ولكن الميت لا يعود ، وأن الملك الجديد لو بذل عرشه فى سبيل نظرة من أبيه أو كلمة يسمعها من فيه ما سمح الموت ، لأن الموت ديموقراطى لا يميز بين الملوك والسوقة ولا يدين بالفروق بين الطبقات

هكذا تتساوى الرؤوس عند الموت بالرؤوس ، أو تتساوى الرؤوس بالأذناب ، كما تساوت الرؤوس بالرؤوس ، أو الرؤوس بالأذناب عند انحدارها من الأصلاب . الكل من التراب ، والكل إلى التراب . ومالى لا أذهب إلى أبعد من ذلك ، فأزعم لك أن الناس كما يستوون فى طرفى الحياة ، يستوون فى الحياة ؛ وأزعم أن فى الحياة نصيباً مشتركا من السعادة ، وآخر من الشقاء ، كل الناس فيهما سواء . وما دام كل إنسان لا يقنع بما هو فيه ، بل يمتد نظره إلى أبعد منه ، ويتمنى على دهره الأمانى ، فيبسط له الدهر إحدى يديه ، ويقبض الأخرى ، فلا يقنع الانسان عند البسط ، ولا ييأس عند القبض ، فهو أبدا آمل ، كادح ، مخفق ، ناجح ؛ أقول مادام أنه لا سبيل إلى الكمال المطلق ، إما لأنه غير موجود ، أو لاستحالة الوصول اليه ، فالناس فى الحقيقة سواء ، وما اختلافهم فى الجاه والمال والمراكز الاجتماعية إلا أمور اعتبارية

لا أستطيع أن أعرف السعادة ما هى ، غير أن الذى لا أشك فيه أنها ليست المال وحده ، وليست الجاه وحده ، وليست الجمال وحده ، قد تكون مزيجاً من ذلك كله ، وقد تكون غير ذلك كله ، وقد يكون الألم جزءاً من ماهية السعادة ، أوشرطا من شروطها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تستطيع أن تضع الفوارق بين السعادة والشقاء ، أو تومئ بأصبعك إلى شخص معين فتقول : هذا شقى ، وإلى سواه ، فتقول : هذا سعيد

أيها الراحل العظيم ، لقد تبوأت سرير الملك

فى ساعة يذر الأسرة نحسها   مثل النجوم طوالعاً وأفولا

ولقد خلفت سرير الملك ، وما تزال الجدود عاثرة ، والأسرة متناثرة ؛ ولكنك عشت ملكا ، ومت ملكا . والآن قر فى مضجعك ، فلا قرار مع الحياة ؛ والتمس فى باطن الأرض الراحة التى خانتك على ظهرها . إن للملك لهما ، وإن للشعوب من الأحمال الثقال ، ما تنوء بحمله ظهور الرجال ؛ وإن لك فى جوار ربك لعوضاً أى عوض . أحسن الله عزاءنا فيك ، وبارك لنا فى خلفك المحبوب

كوم حمادة

محمود غنيم

الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ عبد القدوس الأنصارى

نشر الأساتذة : على الطنطاوى وعبد الوهاب الأمين وسامى الشقيفى وغيرهم فى مجلة (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة عن الحياة الأدبية فى أوطانهم ، فأجادوا وأفادوا ، وجلوا لنا بأقلامهم المرهفة حقيقة هذه الحياة

ولما كانت هذه البحوث عبارة عن جزئيات يتألف من مجموعها موضوع كلىّ عام ، هو الهدف الاسمى ألا وهو (تصوير الحياة الأدبيــة فى البلاد العربية) رأيت — والحالة ما ذكر — أن أدلى بدلوى وأقول كلمتى عن الحياة الأدبية فى الحجاز ، استكمالاً لحلقات البحث ، ووفاء بحق هذا القطر الذى هو مهد الأدب العربى الأول

كانت الحياة الأدبية عندنا فما قبل الحرب العامة الماضية تجرى على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليدياً محضا ، ميكانيكياً خالصا ؛ قصائد غزل ورثاء ، ومدح وهجاء ، وتطريز وتشجير ، ورسائل معذرة وإطراء ، وعتاب وتواصل وتقاطع ... وكانت كل هــذه الرسائل وهاتيك القصائد منهوكة القوى المعنوية مما تحمّله دواماً من أغلال السجع المرهقة ، وأثقال المحسنات البديعية الجافة ... للألفاظ فى الأدب عامةً المقام الأول : أما المعانى فهى فى الدرجة الثالثة أو الرابعة فى الأهمية . بقدر اقتدار الأديب ناثراً أو شاعراً على تنميق الألفاظ يقاس أدبه ، وبموجبه يصدر له أو عليه الحكم

هكذا كان الجو الأدبى هنا محاطاً بسياج من الجمود ... فلما وضعت الحرب العامة أوزارها استيقظ فى نفر من ناشئة الحجاز المتعلمين روح النهوض ، وشعروا أن أدبهم قد أخنى عليه التقليد وأفسده داء الجمود ، فتركه هيكلاً عظمياً نخراً باليا ، نابياً عن الحياة ، بعيداً عن مطالبها ، فاقداً روح الحياة ، فاشمأزوا من هذه الحالة المزرية . وهنا ابتدأ دور العمل فى الانقاذ ، ومن هنا ابتدأ عصر التجديد

إلى أين نتجه ؟ كيف نجدد هذا الأدب الرث البالى ؟ أين الطريق ؟ وأين الدليل ؟

هنا شاهدنا سبيين ممدودين الينا من أقطار العروبة الناهضة ، وكل منهما له مغرياته ، هذا الأدب المصرى يجذبنا بنصاعة أسلوبه وقوة تركيبه ، وهــذا الأدب المهجرى يسحرنا بمرونة أسلوبه وسهولة تعبيره . كان طبعيا — والحالة كذلك أن يحصل انقسام فى اتجاه حياتنا الأدبية . فنى المدينة كان منا إجماع على اعتناق الأدب المصرى أسلوبا وتفكيرا ، وفى مكة وجدت تمسكت طائفة بذيول الأدب المهجرى ، وأخرى اعتنقت الأدب المصرى . وكل سار فى اتجاهه يكتب ويفكر ، ويفكر ويكتب ، حتى كان تفاعل فكرىّ فى الآونة الأخيرة أنتج « توحيــــد » مناهج الأدب الحجازىّ فى انتهاج سبيــل الأدب المصرى وحده . ومن هنا وبسبب تضــافر الجهود وقوة الاتحاد رأينا الأدب الحجازى يخطو إلى الأمام خطوات سريعة تشف عن استعداد عظيم

على أن حياتنا الأدبية بسبب حداثة عهدها ولكونها نتيجة ثقافة محدودة فانها ما تزال بحاجة الى الاصلاح والتغذية ، وإلى التنظيم والنضوج . فالاضطراب الفكرى والارتجاج الكتابى ، ظاهرتان ما تزالان تلازمانها فيما تنتجه من ثمار . ومع كل هذا فاننا لعلى اعتقاد أكيد باضمحلال هاتين الظاهرتين متى تضافرت الجهود فى سبيل الاصلاح

وحياتنا الأدبية انما تستمد كيانها وعناصرها من الأدب العربى الاسلامى القديم ، كمؤلفات الجاحظ وقصائد المتنبى ، ومن نتائج قرائح أدباء مصر المعاصرين ؛ وقلما تأخذ أية فائدة أو تستمد أية فكرة عن الأدب الغربى رأساً لعدم المام الأكثرية الساحقة من القائمين بها باللغات الأجنبية الماماً يؤهلهم للافادة والاستفادة

ولقد خطت حياتنا الأدبية خطوات مباركة فى سبيل النشر والتأليف ، فمع وجود كثير من العقبات والحوائل قد ظهر فى عالم المطبوعات كتب أدب حجازية منها : كتاب أدب الحجاز ، وكتاب آثار المدينة المنورة ، ورواية التوأمان ، واصلاحات فى لغة الكتابة والأدب ، والتحفة الشماء فى تاريخ العين الزرقاء ، وحياة سيد العرب ، والانتقام الطبعى

وفى الحجاز اليوم صحيفة أدبية هى الأولى من نوعها ، وهى

أدبيات :

أبو الفضل بن شرف
الشاعر الفيلسوف
للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

« الناظم الناثر ، الكثير المعالي والمآثر ، الذي لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ؛ إن نثر رأيت بحراً يزخر ، وإن نظم قلد الأجياد دُرًّا تباهى به وتفخر ، وإن تكلم في علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، وولج منها في كل باب ؛ وقد كان أول ما نجم بالأندلس وظهر ، وعُرف بحَوْك القريض واشتهر ، تُسدَّد اليه السهام ، وتنتقده الخواطر والأوهام ، فلا يصاب له غرض ، ولا يوجد في جوهر احسانه عرض ؛ وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق ، مع جرى في ميدان الطب الى منتهاه ، وتصرف بين سماكه وسهاه ، وتصانيف في الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى يسر البر ، ومنها الكتاب الملقب بنجح النصح وسواها ، من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحواها » ... هذا هو كل ما قاله الفتح بن خاقان في ترجمته لهذا الأديب الشاعر ، الفيلسوف النطاسي (١) أبي الفضل بن شرف . وقد جرى الفتح في هذه الترجمة على شنشنته في سائر تراجمه ، فلم يذكر اسم المترجم له ، ولا اسم أبيه ولا منشئه ، فضلاً عن أنه أغفل تاريخ مولده ووفاته .. وكذلك لم نر لغير الفتح ترجمة لهذا الأديب الكبير يصح أن تسمى ترجمة يعول عليها (١) ... ولكنا مع هذا أترانا لا نعرض لترجمة أمثال هذا الأديب البارع المتفنن الذي نبغ منه شعرٌ شاعر وحكمة بالغة وكان إلى ذلك نطاسياً عظيما ، كما يؤخذ من كلام الفتح ، ومن ثم يعد بحق من مفاخر الأندلس ؟ وما قيمة عملنا إذا نحن ضربنا الذكر صفحاً عن مغموري أفاضل الأندلس أولئك الذين لم يوف المؤرخون تراجمهم حقها .. ؟ وإياك والظن أنا نعني بقولنا مغمورين أنهم لم يكونوا مشهورين في عصورهم ، وإنما نعني أنهم مغمورون في نظر أدباء هذه الأجيال . وقليل لعمري من سمع منا بهذا أبي الفضل بن شرف سماعه مثلاً بابن هانئ وابن خفاجة وابن زيدون وابن عمار وابن وهبون وابن عبدون وأمثالهم ممن اضطرب ذكرهم وكانوا من المشهورين

« وأما بعد » فهل تدري من هو أبو الفضل بن شرف هذا ؟ أظنك لا تجهل أديب القيروان وكاتبها وشاعرها أبا عبد الله محمد ابن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني قرين ابن رشيق ومنافسه في خدمة المعز بن باديس ومنادمته والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ ؛ إذن فلتعلمن أن المترجم له هو ابن هذا الأديب القيرواني العظيم واسمه جعفر بن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن شرف المذكور . دخل الأندلس مع أبيه ، وهو ابن سبع سنين ، وقيل إنه ولد في الأندلس بعد أن نهد اليها أبوه وأقام بقرية من قراها تسمى برْجَه (٢) ومن ثم يقال للمترجم أبو الفضل بن شرف البرْجي . وللمترجم ابن فيلسوف شاعر مثله هو أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المذكور — وهو القائل :

وكريم أجازني من زمان لم يكن من خطوبه لى بُد
منشد كلما أقول تناهى مالمن يبتني المكارم حد

هكذا يحدثنا المقري عند إيراده قافيَّة المترجم التي يمدح بها المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف والتي ستمر بك قريباً . ومن هذا ومن قول الفتح في كلمته التي صدرنا بها هذه الترجمة ، « وهو اليوم بدر هذه الآفاق » يستنتج أن المترجم أبا الفضل بن شرف هذا أدرك ملوك الطوائف ودولة المرابطين ، أي أنه عاش في أواخ

(١) الطبيب

(١) ويؤخذ من خطبة الذخيرة أن ابن بسام ترجم له ، ولكن ترجمته إنما هي في الأجزاء المفقودة

(٢) مدينة من أعمال ألبيرة

(صوت الحجاز) التي تصدر بمكة ، وهذه الصحيفة هي المنبر الوحيد الذي يتبارى من فوقه حملة الأقلام في الحجاز ، وفي نية بعض اخواننا من أدباء المدينة وشبابها انشاء صحيفة في المدينة كصوت الحجاز ، ونرجو لهم التوفيق ، لأن الصحافة كما أنها عنوان رقي البلاد فانها الباعث الوحيد لانهاضها وانعاشها في هذا العصر

وخلاصة القول أن في الحجاز اليوم حياة أدبية ، واحساساً أدبياً ، زاخرين بالآمال في مستقبل أدبي مجيد رائع لهذه البلاد . والآمال هي مصابيح الحياة ؛ وما دامت حياتنا الأدبية تحمل بين يديها هذه المصابيح ، فانها ولا ريب بالغة قمة النجاح

(المدينة المنورة — الحجاز) **عبد القدوس الأنصاري**

الطفل

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مِنْ عالمِ الروحِ وهو الخلد والقِدَمُ … وكان بالأمس يطوى جسمه العَدَمُ
سرُّ الحياةِ وسر الموت ما برحت … تطويه عن فِكَرٍ هَمّتْ به الظُلَمُ
يُطِلُّ من عينه معنى يزاوله … معنى التَفَهُّمِ لم ترْصَدْ له كَلِمُ
وحيرة هى بعض اللب يبرزها … صفو من العين لا خِبٌّ فتَنْكَتِمُ
صفو الغرارة أبهى ما رأى بَشَرٌ … ما رَنَّقَ العينَ لا شر ولا ندم
ولم تَشِبْهُ تجاريب الحياة بما … يدجوله اللحظ والأفكار والشِّيَمُ
ضعف الوليد وهل فى القلب مُبْتَعِثٌ … نَبْعَ الحنانِ كضعف ليس يُتَّهَمُ
لأىِّ أمرٍ بدا يَفْتَرُّ مبسمه … وما حباهُ بِزَعْمِ الأشيبِ الفَهِمِ
وكلما بذرت للشر بادرة … قلبُ المُسِنِّ لها حيرانُ يضطرم
يود كل رجيح العقل مكتهل … أن لو يعود وليداً أمره أَمَمُ
وليس يبصر أن الشر مُقْتَبَلٌ … يعود منه إليه الهم والهرمُ
لكنها مهلة للقلب يَنْشُدُها … حيث الصفاء وعيش ماؤه شَبِمُ
فلا عداء ولا مكر ولا حِيَلٌ … ولا حقودٌ ولا غدر ولا جُرُمُ
حيث الحياة كبيت الله طاهرة … لدى الطفولة وهى المَعْبَدُ الحَرَمُ
أو جنة الخلد لا إثمٌ لساكنها … وما تجاوَزَ ذو عجز ومُجْتَرِمُ
إنَّ الأزاهر والأطفال ما اجتمعا … صنوان والحسن فيها طُهْرُهُ عَمَمُ
مرأى يُطَهِّرُ ما بالنفس مِنْ دَنَسٍ … حتى يعود بها والخير مُغْتَنَمُ
كم ناقم سَلَّ منه الطفل عادية … من الضغائن إذ يرنو ويَبْتَسِمُ
قد يُحْزِنُ الزهر إذ يذوى أَمِنْ شَبَهٍ … بمصرع الطفل رائيه له يَجِمُ
ما أعظم الفقد لو أن الورى خُلِقُوا … خلق الرجال وكالأطفال ما وُسِمُوا
لما تَمَلَّى أناسٌ طُهْرَ ما فقدوا … ولا أحبوا ولا حنوا ولا رحموا

عبد الرحمن شكرى

عصفت ريح على أنبوبه … وجرت أكعبه فى زئبق
كلما قلبه باعد عن … متن ملساء كمثل البرق
جمع الصرد قوى أزرارها … فتآخذن بعهد موثق
أوجبت فى الحرب فى وخز القنا … فتوارت حلقا فى حلق
كلما دارت بها أبصارها … صورت منها مثال الحدق
زل عنه متن مصقول القوى … يرتمى فى مائها بالحرق
لو نضا وهو عليه ثوبه … لتعرى عن شواظ محرق
أكهب من هبوات أخضر … من فرند أحمر من علق
وارتوت صفحاه حتى خلته … بحيا من لكفيك سقى
يا بنى معن لقد ظلت بكم … شجر لولاكم لم تورق
لو سقى حسان إحسانكم … ما بكى ندمانه فى جلق
أودنا الطائىُّ من حيكم … ما حدا البرق لربع الأبرق
أبدعوا فى الفضل حتى كلفوا … كاهل الأيام ما لم يطق

« يتبع »

عبد الرحمن البرقوقى
منشىء البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

دمعة على الصورة..!

للأستاذ أبى السمح الفقيه

أغلاماً أرى هنا أم ملاكا … وجد العيش فى سوى الخلد عجزا ؟
فمضى للنعيم غضاً غريرا … مستبداً بروحه مستعزا !
نظرات بريئة وصفات … فاق أترابه بهن وبزّا
وفؤاد يسيل فى كلمات … الك فيه هزت فؤادىَ هزا !
لا أعزيك لا أقول تصبر … مثل هذا بفقده لا يُعَزَّى !
لا أعزيك فيه إلا بدمعى … وبحزن يئز فى الصدر أزا !
لهف قلبى عليه وهو ينادى … مستغيثاً أباه والغوث عزا !
قد رضينا له ربى الخلد مغنى … ولو أُن الفراق فى الوصل حزا !
كنت بالرزء مستهيناً فلما … شاهدته العيون ظلت تنزى !
عجبى يضحك الخلى ويلهو … والمنايا تجز فى الناس جزا !
يبتلى المؤمنون مثلك فيما … وهبوه فيسلبون الأعزا !

مكة المكرمة

عبد اللطيف أبو السمح الفقيه
أستاذ اللغة العربية بدار الحديث

إلى الاستاذ أنور العطار

بقلم علي محمد الشلق

أيها الشاعر الذى سال حزناً وجرى ذائباً ولم يتدفقْ
أنت همسٌ ورقّةٌ وهباء ليت هذا القريض عطر فيعبق

***

يا شباب الشآم أنت فخار الدهـــر لا بل أعزُّ منه وأعرق
يا شباب الشآم يا وثبة الشر ق ويا بسمة الرجاء المحقق
ما ترجى بالله من أدب با لٍ حزين واهى الأمانى مُمزق ؟
ليت شعرى ماذا دهاك لتبكى ؟ فى شباب ضافى الذيول مُنمَّق
ليت شعرى ماذا دهاك لتذوى؟ فى رياض الحياة، والعيش أورق
شاعر الدمع خل عنك قريضاً جاء نوعاً من الكلام المرقَّق

***

قد كفى الشرق ما بكى من دموع كاد لولا الرجاء بالدمع يغرق
قد كفى الشرق وقع تلك المآسى غمرت عيشه بنوم مؤرَّق

***

ألاسى خطّةُ الضعيف على الأرْ ض وسجن على الذليل مُغلَّقْ
« ليس دمعاً من الحنان على الأرْ ض وكنزاً من المراحم مطلق »

***

أين عهد «الأعشى» بغرٍّ طوال ؟ ترفع المجد فوق هام « المحلق »
أين عنا شعر ابن شداد ؟ مالا ن ، وما كان بالضعيف المزوّق

***

نحن نبكى على الهباء وهذا الغرْ بُ ، نشوانُ بالنجوم تعلَّقْ
« نحن لحن مضرَّجٌ بالمآسى » وهو لحن يولى الخلود فيُعشق
نحن نحبو مع الخشاش ثقالاً وهو فوق السماء بالعلم حلَّقْ

***

يا رجال القريض أين القوافى ؟ تتلظّى من الشعور فتحرق
يا شباب الحياة ، هاتوا قريضاً كجبين الصباح إن ذرَّ أشرق
وابعثوها شعواء تزجى الأمانى ساميات على الكواكب تخفُق
أيقظوا الشرق من سبات عميق أدلج الركبُ وهو بالذل مُوثق
ما عهدناك أيها الشرق خوَّا راً ، وما كنت فى الميادين تُسبق
هُب فالصبح لاح والطير شادٍ صفَّق الروضُ ، والضياء تألَّق

كلية اللغة العربية — علي محمد الشلق

القبلة الاخيرة

للسيد الياس قنصل

وإذ أدركتْ أن الهنا مرَّ حينُه وأن القضا أفتى ببعد فتاها
أكبَّتْ عليه وهو حيرانُ واجم وأدَّتْ معانى حبِّها شفتاها
وعادتْ لتشكو دهرها بدموعها وتجلوَ بالآهات بعض شقاها ..
أُهنِّيك من قلبي وأحسدُ برهةً وددتُ لها أختاً وروحى فداها
فقد أبعدتْ عنى البحارُ حبيبتى ولم أستطعْ يوم النوى أن أراها

***

الآلام

لا تعنُ للشكوى ولا تحزنْ إذ جارتْ عليك بصرفها الأيامُ
فالمرء يلبث طينة مجبولةً حتى تشرف نفسَه الآلامُ

عاصمة الأرجنتين — الياس قنصل

تنبيه

نرجو التفضل بتصحيح نص الآية الواردة فى مقالة الاسلام والمدنية والعلم فى العدد الممتاز ص ٦٤٨ عمود ٢ بوضع [قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون] بدلاً من [إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون] كما إنه وقع فى المقال الثانى فى العدد الماضى بعض أخطاء مطبعية نوردها مع تصحيحها :

ص ٧٣٤ سطر ١٠ عمود ١ : لم تعش — لم تعن
ص ٧٣٥ « ٥ من أسفل : المقل لا السمع — العقل والسمع
ص ٧٣٥ « ٣ « : بعد أن أثبتها — بعد أن أثبتناها
ص ٧٣٦ « ١١ « : يثبت الله عليه — يثبته الله عليه

القصص

جاسوسة !

« Elle est de la police »

لمدير الأكاديمية الفرنسية هنري بردو

ترجمة الأستاذ عبد الحليم الجندي المحامي

لم يبق لمدام (سرمزل) أمل في أن تُحَب ، فأصبحت لا تطيق أن ترى قلبين يتناجيان

* * *

فلقد ودعت المسكينة جمالها إثر حادث سيارة ، وعمل الجراح في وجنتيها خير ما هيأت له عبقرية الطب ، ورسم أنفها الدقيق رسمه الأنيق السابق ، لكن الفن والطب معاً قصرا عن أن يمسحا من صفحة وجهها تلك الشيات المهينة التي ما برحت تشير إلى الحادث . . فعينها التي لم يجسر الطبيب على أن يدنو منها قد اتسعت بعض الاتساع فصارت نظراتها مما يتجمد له الدم في العروق . . وعشيقها الذي حنا عليها في محنتها وسربلها بصنيعه لم يستطع تلقاء هذا (البعث الناقص) إلا أن يطلب نقله إلى وظيفة نائية ! . . . ولا يصبر على القبح الجسماني إلا رجل سمت به فضيلته إلى أرفع ذروة ، أو رجل يغمر الايمان فؤاده . . والصديق العزيز لم يكن إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء . . .

كانت ما تزال تدعى إلى الأوساط التي كانت تغشاها من قبل ، لما عرف عنها من الملاحظة اللاذعة والروح المبتكر . . وفي ابان هذه الدعوات شهدت — وهي تكاد تُجن — ميلاً يبديه المسيو (ريانس) إلى (المدام دي نيج) وكان الداعون والداعيات يفطنون الى هذا الهوى الناشئ فيجعلون كرسي كل منهما إلى كرسي الآخر . . وهكذا في كنف تلك التقاليد التي تواضعت عليها الارستقراطية المعاصرة (!) تآمرت كل الظروف على أن يترعرع هواهما الوليد في هوائها الطلق الصافي

كانت مدام دي نيج مشغولة بزخرفها مشغوفة بنجاحها في ذلك الوسط الرفيع الذي كانت تتأرجح كالقمري الغريد فوق أفنانه ، وكان زوجها منكباً على وجهه في عالم السياسة لا يجد الساعات التي يمنحها فيها الحنان أو يهبها فيها الحب . أما المسيو (ريانس) فقد وفد حديثاً من الريف . . ومعه ثروة الأقاليم وملاحة التبسط وقسمات بديعة كلها اغراء ، لكنه كان يضيف إلى تلك المؤهلات جهلاً تاماً بفن (الرجال مع النساء)

وذات يوم وقع خطأ في (بطاقة الاسم) فجاء كرسي مدام سرمزل بدلاً من كرسي مدام دي نيج بجوار المسيو ريانس . فقنعت الصديقة بمجلسها النائي وأخذت تبعث إلى صديقها من أقصى المائدة شعاعاً كله الكهرباء . . . فتطلعت (سرمزل) فوقع بصرها على ذلك التيار الذي يروح ويجيء بين القلبين فهمست في أذن جارها تقول :

— حقاً إنها جميلة . . وسكت ريانس ، فعادت تقول :

— ولكن يا للخسارة ! قال أي خسارة ؟ قالت ألا تعرف ؟ قال أي شيء أعرف ؟

قالت إنها « في خدمة البوليس » ! ! قال : « إنك تمزحين يا مدام » قالت كيف أمزح ؟ أو لم تقرأ كتاب (فوشيه) الذي قبلته الأكاديمية أخيراً ؟ وحسبها قد أخذت بطرف من الحديث جديد ، فقال كلا لم أقرأه ، فاستطردت الجارة تقول : (هو مؤلف من جزءين ، وإن المرء ليتعلم منه أشياء كثيرة وفيه تفاصيل عن نظام الجاسوسية في عهد الامبراطور ... كان في خدمتها سيدات من الطبقة الراقية . . جوزفين نفسها كانت جاسوسة في عهد الدير كتوار (حكومة الادارة) !!! وفي العصر الحاضر سيدات كثيرات من ذلك الطراز تجري عليهن الوزارة أجوراً لبطلنها على فضائح المعارضة كما تخضع المعارضة للوزراء . . .)

— ولـكن كيف عرفت هذا يا مدام ؟

— لا . لا . . . لن أبوح لك بمصادرى . . وحسبك أننى أخبرتك

— إذن فهل تسمحين لى بألا أصدق ؟

— ولِمَ لا أسمح لك ؛ ليس المرء مكلفاً بأن يصدق كل ما يلقى اليه ، لـكن عليه — على الأقل — أن يفتح عينيه

وتنقـلا فى شجون شتى وشؤون متشابهة ، حتى إذا فرغ الطاعمون ونهضوا انتبذ من القاعة مكاناً قصياً وبقى فيه . . . . فلم يكن بد من أن تسعى اليه مدام دنيچ تسأله ما ذا دهاه ؟ فأجابها : لا شىء ، وأراد أن يُبدى لها بعضاً مما كان يُبدى من تحاياه أو من فيوض هواه . . . فـكانت دعابته شوهاء ، وحديثه بلا روح

وتعاقبت الأيام وهبط البارومتر ، وهدأ التيار ، وعملت مدام دى نيچ جاهدة لتظهر عدم الاكتراث بمـا يظهره هو من عدم الاكتراث ، ثم جمعت كل ما منحتها السماء من فتون الأنوثة وخلاعة الاغراء ووجهتهما عليـه جميعاً كالتيار الدافق ، فلم يُلق اليها بالاً . . . ولمـا غلبها بأسه غلبها يأسها ، فشاهت فى وجهها الحياة

لـكن الاعجاب الذى مال بكل منهما إلى الآخر ، والذى تنضح به غريزة كامنة فى أعماقنا جميعاً — غريزة تلك الميول المستعدة لأن تصبح حباً جارفاً عندما تقاوم — هذا الاعجاب جعلهما أوثق اتصالاً كلما حاولا الانفصال . فأخـذ الرجل يسائل نفسه : ما علة هذا الجفاء ، وكيف يؤمن بالسيدة سرمزل مع أن الملأ طراً قد وصموها بأن الحقد يفرى كبدها من سعادة السعداء ؛ وتملـكه الريب فيما ألقت اليه ... لـكن الـكلام كان كالسهم قد نفذ فاستقر فى أعماقه ... وإذن فليس يمكن أن يعلق فؤاده بغرام جاسوسـة ... وشرع يزين لنفسه أشياء ويقبح أشياء ... وأخذ يقول لنفسه ما يقوله كل ريفى هبط حديثاً إلى العاصمة : « لا ، لا يمكن أن تستغفلنى باريس ! » . بلى : فمن أين لها هذه الفراء الفارهة ، وهذه اليواقيت ، وكل تلك الأعلاق ! وراح يحقق أثمـان ما يقتنيه الحسان من نفائس ومجوهرات ؛ فلمـا أدركه التعب أخذ يقول لنفســـه : « أو لست أنا الذى أصبحت جاسوساً ؟ ! »

وغدا المسكين نهباً مقسما بين الشك والقلق المساور ، وغاض من كيانه معين الشباب ومرح الفتوة اللذان إذا أحدقا بغانية سدا فى وجهها الأفق ولم يتركا لها منهما منفذا إلا كما تترك خروق (الشبكة) الضيقة للفراش الرشيق

أما هى فقد ذهبت جهودها كلها بددا ، فعـكفت على قلبها تتسمع خفقاته وتستعذب فيه لذع الحريق

وذات يوم سمعته يخبر الأصدقاء بأنه مسافر ، فلم تمالك نفسها وسألته : الى أين ؟ فأجابها بتحفظ : (عندى)

— أين عندك ؟

— فى چكس

— قريباً من چنيف ؟ فأجابها فى سخرية لاذعة :

— هنيئاً للجغرافيا بكعبك العالى يامدام ! . وأنت الى أين ؟ قالت إننى لم أعتزم بعد أمرا . . وهذا يتوقف عنـدى على أشياء كثيرة

فكرّ على عقبيه ورجع يقول لنفسه : أشياء كثيرة ! طبعا .. طبعا ! ومن يدرى فهى (مأموريات كثيرة) من يدرى أيضاً ... لا . لا . يجب أن أغادر الديار وأفلت من قبضتها . . . . وظل يأتمر بها مع نفسه وانتهى بأن قال (ستحسبنى رحلت فلأراقبْها إذن ... لأراقبْها أنا)

* * *

وتتلمـذ حينا من الدهر على (شرلوك هولمز) وأتاحت له الظروف فرصاً باهرة . . .

ما هـذا : إنها فى السيارة والسيارة تنهب الأرض نهباً إلى (المحافظة) ! . . . الله ! الله ! . . . إن السـيارة تطير بها إلى الوزارة ! . . وزارة الداخلية ! ! الله أكبر ! ما كان أصدقك يا مدام سر مزلْ ! ! . . ما هذا أيضاً : إن السيدة لم تنتظر فى غرفة الانتظار . بل انفتح لها رِتاج الوزير فور الساعة ! ! . . . لا . لا ، إنها ذات عهد بتلك المعاهد بلا مراء . . يالله ! . . ماذا كان مضيره لو هوى فى ذلك الشرك . . ولو لم توح السماء إلى الناس فيخطئوا مرةً واحدةً ويضعوا بجانبه (المنقذة سر مزلْ) وهكذا بعد أن أطلع عليها ولى فراراً وملىء منها رعباً

وكان قصره فى الريف يشرف على عتبات جنيف ! وكان اتصال البلد الذى هو فيه بالبلد الذى فيه عصبة الأمم يُسبغ عليه من جو الدبلوماسية ومن مراسيمها ، وكانت أول دعوة وجهت اليه دعوة المركيزة « دى بريل » وهناك . . . هناك . . ماذا . . ! هنا ألفى نفسه وجهاً لوجه أمام من ؟ أمام المدام دى نيج نفسها . . بلى ، إنها هنالك تقتنى آثاره فيمن تقتنى آثارهم ، ما فى ذلك ريب ، ولم يكن بد من أن يتحدثا فتحادثا

— أنت هنا يا مدام ؟ أية مصادفة ! أية مصادفة ! . فحدقت فى عينيه ، وكان جلدها قد وهى ، بل كان قد انتهى ، وقالت :

— لا ليست مصادفة . ألم تقل لى إنك قادم إلى چكس ؟ قال :

— كم أنت ظريفة يا مدام ! وأظنك لهذا جئت إلى جنيف ؟ وشرع يتهكم فجذبته بقوة وقالت :

— لا تسخر منى وقل لى هنا . . هنا على الأقل . . لماذا كنت تتخلص منى ؟ وحارت الدموع فى مآقيها كالسحاب عند ما يتجمع فى زوايا السماء الصافية . فجرؤ صاحبنا وتشجع وقال : بل أجيبى أنت

س : ماذا كنت تصنعين فى المحافظة فى ١٠ يوليو ؟

ج : فى ١٠ يوليو ؟ . . دعنى قليلاً أفكر . . فى ١٠ يوليو ذهبت إلى المحافظة أبحث عن جواز سفر إلى جنيف . . لأحضر إلى هنا . . قريباً منك

س : وفى نفس اليوم بوزارة الداخلية ؟

ج : كنت أعرف الوزير فقصدت إليه أطلب تصريحاً بزيارة عصبة الأمم . وقالت « لكأنك قد تجسست على » ... « إنك إذن من رجال البوليس »

قال : كلا ياسيدتى ، لست أنا ... ومسح جبينه وهو يتفصد عرقا ، وأضاف : ولا أنت أيضا

— إذن هل قال لك أحد شيئاً ؟ أو صدقت الذى قيل ؟

ولم يكن يقيله من عثرته إلا أن يقول ـ كالشهود ـ الحق ، وكل الحق ، قال : (مدام رِسْ مِزِلْ) فتنهدت الحسناء وقالت : « أفتصدق تلك الفرية فتلوث هذه التى كنتَ ... التى كنتَ . »

— التى كنت أحبها ، وما زلت أحبها كثيرا ، كثيراً جدا ، جدا ، أما هى فلن يتفتح لى قلبها أبدا ...

* * *

أفرخ روع المدام دى نيج ، وشاعت فى وجهها نضرة النعيم ، وتمشيا معاً فى ممر يعطره أرج الربيع ، لكأنهما الفكرة البديعة تروح وتغدو فى خيال الشاعر . قالت : أرأيت إلى هذا الكم الذى لم يتفتح بعدُ عن الزهرة ! انظر ماذا فعلت بى ... لقد لوثتنى ؛ فهل أهبك بعد هذا قلبى ؟ خذ هذا الكم ذكرى من ذكرياتى ... لقد وقع ولكن أثره ما يزال

فأخذ الكم بقوة كأنه ينزعه وقال : « وإذا أنا طهرته بفمى من هذا الأثر أفتغفرين لى ؟ » ثم قضم بأسنانه لفائفه فبدا الطلع من ثناياها وضيئاً مشرقا . قال : « أما الزهرة ياسيدتى فلم تمس بسوء . فهلا تغفرين ؟ » وازدحم الدمع فى موقيه كطفل غرير ، وتطلع اليها كأنه يلتمس منها أن تهبه الحياة ، فأطرقت فى دلّ وخفر وقالت : « أما الزهرة فانها لك » ثم عادت لتقول : « لكن عليك أن تغسل شفتيك قبل أن تقبلنى »

هنرى بردو

دراما من اسخيلوس

الفرس (١)

Persae

للأستاذ دريني خشبة

اشترك إسخيلوس فى الحروب الدامية التى نشبت بين فارس وهيلاس ، وكان ميدانها وطنه والبحار المحيطة به ، وقد اشترك كذلك فى موقعة سلاميس البحرية التى تحطم فيها أسطول إجزرسيس ثم ظل متصلا بالجيش اليونانى إلى ما بعد انتصاره فى بلاتيه وميكالى ؛ ولذلك تعتبر هذه الدرامة مصدراً هاماً من مصادر هذه الحروب ، ويعدها مؤرخو الأدب اليونانى أصدق مما ورد فى تاريخ هيرودوتس بصدد الحرب الفارسية . ذلك لأن أسخيلوس كان شاهد عيان لوقائع هذه الحرب بينما كان المؤرخ اليونانى ما يزال طفلا لا يزيد عمره على خمس سنوات . وقد مثلت الدرامة بعد موقعة بلاتيه بسبع سنوات

— ١ —

ينقلنا إسخيلوس إلى فارس سيدة الأرض ، ويطوف بنا دارات عاصمتها « سوس » حتى نقف عند القصر الملكى المنيف ، مقر الأكاسرة ، وقلب الأمبراطورية النابض . فنحن إذن بعيدون عن ميادين القتال فى البر والبحر ، لا نشهد الطعن والضرب ، ولا نرى إلى فتك الحراقات اليونانية بأساطيل الأعداء ، ولا تهولنا هرولة الكتائب الفارسية فوق تلك القنطرة الضخمة من السفن المتراصة بين عُدْوَتى الهلسبنت تنساب فوق بطائح هيلاس كأنها سيل العرم . . . ثم لا يبهرنا عاهل العجم البائس وقد وقف فوق أكمة تشرف على أبيدوس وما يجاورها من شطئان الهلسبنت ، يطل على جيوشه الجرارة تعبر البحر الزاخر . . . ويبكى . . . فاذا سأله وزيره : « فيم بكاؤك أيها الملك ؟ » شهق شهقةً عميقة وقال : « أنظر أيها الوزير : هذه طروادة ! وهؤلاء جندى ! ويبكينى ألا يكون أحد من هذه الألوف عائشاً بعد حقبة واحدة من الزمان ! أليست هذه طروادة ؟ ؟ »

(١) الدرامة الباقية من ثلاثية رائعة ما يزال جزآها الأول Phineus والأخير Glaucus of Potniae مفقودين وتعتبر هذه الثلاثية أول قطعة رومانتيكية فى التاريخ إذ لا تستند إلى شيء من الأساطير كما لاحظنا فى درامات إسخيلوس

لن نرى إلى شيء من ذلك ، ولكن نرى عصبة عتيدة من مشايخ فارس وساداتها النُّجُب يتناجون فى حديقة القصر ، متلهفين إلى خبر يذهب بهذا القلق العظيم الذى يساورهم من جراء انقطاع أخبار الجيش . . . وهم يذكرون دارا الأول ، والد الأمبراطور ، بخير ما يذكر به ملك شاد دعائم ملكه على العدل ، وقاد جيوش بلاده إلى النصر ، ورتع فى ظله رعاياه فى بحبوحة من العز وبلهنية من النعيم . . . وهم (١) كذلك يصفون لنا أبهة جيش أجزرسيس وعظمة جحافله ، وهذه الآلاف المؤلفة من الفرسان والمشاة والكماة والرماة ؛ من مشارق الأمبراطورية الكسروية ومغاربها . . . من حفافى السند إلى ضفاف النيل ، ومن أعالى دجلة والفرات إلى أسافل النوبة وإثيوبيا . . .

وهم لا يخفون ما يساورهم من قلق ، ويخامر قلوبهم من شك فى مصير هذا الجيش العرمرم الذى قذفت به آسيا ليهلك فى ربوع أوروبا ، ويجوع ويعرى فى مشارق جبالها ، وتلتقمه الأسماك فى بطون البحر المضطرب . . . لا سيما ومنهم من نصح للأمبراطور ألا يجازف بهذا العدد العديد ضد هيلاس ، فكان جوابه أن أقام إلى جانبه رجلا من أمنائه يقول له فى كل لحظة : « مولاى ! لا تنس الأثينيين ... مولاى : لا تنس الأثينيين (٢) »

— ٢ —

وبينا هم فى تناجيهم إذ تقبل آتوسا — الأمبراطورة الأرمل — زوجة دارا ، وأم إجزرسيس ، والتى قست عليها المقادير فناءت على قلبها بأحزان امبراطورية بأسرها ! !

تقبل آتوسا فيصمت القوم ، ويهرعون اليها يسائلونها عما آل اليه أمر الجيش ، وهل أفاءت عليه الآلهة بالنصر المرجو والغَلَب المنشود ؟

فتقول أتوسا : « مواطنىّ الأعزاء ، وأبنائى الأوفياء ! تسائلوننى عما أقبلت فيه ، وهرعت اليكم من أجله . . . فوالله لقد ضقت بغرفات هذا القصر على سعتها ، وخلتها جحيما على أنها جنة نعيم ، أليس فيها كنت أحلم بالخلد فى حضن دارا ، وأجيل الطرف من شرفاتها معه على أمة سعيدة هادئة ناعمة ، عيشها مخفرج ، وجانبها

(١) هؤلاء الأشياخ هم خورس الدرامة

(٢) هذه النكتة غير موجودة فى الدرامة وقد استعرناها من هيرودوتس

عزيز ، وسلطانها قوى ، وظلها ممدود ، وسؤددها يطوى السهل والجبل ، وثروتها زاخرة وافرة ؟ ! فماذا أرى اليوم ؟ أليس ابنى قد جمع خير كل ذلك ، ومضى لطيتــه التى لا يعلم ما وراءها أحد ؟ ها هى ذى الرياح تصفر فى هذا القصر الذى نأى عنه سيده ، فكأنه خراب على رغم خزه وديباجه ، وشتى تماثيله وتصاويره ... ويحى ! لقد جئت اليكم يا سادات فارس ألقى اليكم بعبء الوساوس التى تجثم على صدرى ، وتثقل كاهلى ، فهل أجد لديكم السكن الأمين ، والمشير الوفى ، والناصح الذى إذا نصح أخلص النصح ؟ »

— « أيتها الملكة ؟ ... نحن عبيدك وبعض رعاياك .. ولك فى أعناقنا الولاء والوفاء ... تكلمى بما تشائين وثقى من اخلاصنا ومحض نصحنا »

— « إذن فما هــذه الأحلام المروعة والرؤى المفزعة التى تجتاحنى كل ليلة حين آوى إلى الفراش ، منـذ أن انطلق ابنى بهذا الجيش اللجب ليغزو بلاد اليونان ؟ على أن رؤيا أمس لم تكن مثلها رؤيا قط . ذلك أنها كانت واضحة بينة حتى ما تكاد تحتاج إلى تفسـير أو تفتقر إلى تأويل ... رأيت فتاتين هيفاوين ممشوقتى القد ، أحداها دورية[1] ناهدة تميس فى حلى وفى حلل ؛ والأخرى فارسية سمهرية ، تختال فى برد ووشى وأفواف ... رأيتهما تقبلان إحداهما على الأخرى ، ثم تأخـذان بتلابيب بعضهما البعض ، ويكون شجار بينهما ، لأن إحداهما بغت على أختها ، وحاولت الاستئثار بدارها من دونها . ورأيت ابنى إجزرسيس مشرفاً عليهما من مرتقى صعب ؛ فلما استحر القتال بينهما نزل إلى حيث حاول أن يجعل نيره فى عنقيهما معاً ... وذلت إحداهما واستكانت ، ولـكن الأخرى ، ولـكن الدورية أبت وأنفت ، ودفعت النير بكل ما أوتيت من قوة ، فغاصت الفارسية فى لجة من دم ، وتحطمت عربة ولدى الأمبراطور فوقف حيث كان قبل أن يتدخل بينهما ، وأخذ يبكى وينشج ، ويشق الأردان ويمزق الجيوب ... وهنا وقف إلى جانبه أبوه ... الأمبراطور المبكى ، دارا ، وطفق يرثى له ويهون عليه

هذه رؤياى يا سادات فارس النجب ... ولـكن ... ما تزال بقية ... فانى حينما هببت من نومى ، عسيت أن تكون رؤياى أضغاث أحلام ، فقلت أتوجه إلى مذبح الآلهة مانعة الضر ، أقرب لها وأضحى ، عسى أن تنفعنا ، وما كدت أغمس يدى فى النبع المقدس ، وأنثر بخور الند فى المجمرة ، حتى لمحت نسراً مهيض الجناح لائذاً بقدس أبوللو[1] ... ثم ينقض عليه باز باشق ، فما يزال به يوسعه ضرباً وتجريحاً حتى ينتفض النسر ويلوذ بالفرار ... ويلاه ! إن الرؤيين ... فى المنام وفى اليقظة ، تفسر إحـداهما الأخرى ، فيا ترى ؟ هل هما نبوءتان على إجزرسيس ؟ وهل أعيش حتى أرى ولدى إن كان ما يزال حياً يرزق ؟ ! »

— ٣ —

وشده سادات فارس ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم أشاروا على الملكة المحزونة أن تذهب إلى قدس الآلهة فتقرب لها وتضحى ثم تسأل عن رؤياها ، وتتضرع أن تتلطف الأرباب بابنها وجنوده ومملكته ، إن كانت الرؤيا حقاً ... وإلا ... فلترق الخمر باسم دارا العظيم الذى زارهـا فى رؤيا أمس حين وقف إلى إجزرسيس يرثى له ويهون عليه ، فاذا بدا طيفه لها فلتسأله أن يبارك ابنه ، ويغدق البركات على فارس كذلك

ويتحول مجرى الحديث فجأة ، فتسأل الملكة عن هذه الحرب ما سببها ؟ ويجيب السادات أن الأمبراطور أراد أن تخضع له أثينا

— « فاذا خضعت له أثينا ؟ »

— « خضعت له هيلاس كلها ! ! »

— « وهل هيلاس من القوة بحيث تحشد لحاربتها كل تلك الجحافل ؟ »

— « وكيف لا وهى أقوى دولة فى العالم بعد فارس ؟ وهل نسينا أنها دمرت جيش دارا ؟ »

— « أو غنية هى ؟ »

— « غنية جدا ، وفى بطنها ثروة من الفضة لا تقدر بثمن »

(لها بقية) دريني خشبة

(١) من إحدى القبائل اليونانية

(١) هكذا بالأصل (فويوس) ولا ندرى لم يخلط اسخيلوس هذا الخلط فالمعروف أن الفرس كانوا يدينون بألهين اثنين : إله الخير وإله الشر ولم يعرفوا الآلهة اليونانية

البريد الأدبي

سجموند فرويد فى تمام الثمانين

يحتفل العالم هذا الأسبوع بالعالم السيكولوجى الكبير سجموند فرويد لبلوغه الثمانين . . . وقد يبتسم القارئ حين يذكر بيت شاعرنا العربى الخالد (إن الثمانين وُبلّغتها ... ...) لا سيما إذا علم أن فرويد المحتفل به ، والذى يعتبر واحداً من أعظم علماء العصور الحديثة إن لم يكن أعظمهم جميعاً ، هو رجل ضعيف البنية هزيل الجسم ، قد تحالفت عليه الأمراض . ولكنه بالرغم من ذلك يملك عقلاً جباراً لا يكل من التفكير ، ولا يفتر نشاطه أمام ما ينتاب بدنه من الأوصاب

ولد فرويد فى مايو سنة ١٨٥٦ من أبوين يهوديين فى مدينة فريبرج من أعمال مورافيا ، والامبراطورية النمسوية إذ ذاك فى عنفوان مجدها . وبعد أربعة أعوام ذهب به أبوه إلى ڤينا حيث تعلم فى مدارسها وقضى صدر شبابه فى ربوعها ؛ ولما بلغ من العمر التاسعة والعشرين غادرها إلى باريس (١٨٨٥) بقصد التزود من الثقافة العالية التى كانت باريس مثابتها فى هذه الآونة — ولكنه — لأمر ما — لم يلبث فى باريس غير سنة واحدة عاد أدراجه بعدها إلى ڤينا

وكانت نفسه تجيش بآمال كبار ، وكان ينظر إلى أساليب التفكير السائدة فى أوروبا فى ذلك الوقت كأنها أصبحت أساليب عتيقة لا تليق برقى الانسانية التى تتيه بعصرها الحديث على جميع العصور القديمة والوسطى . وكانت عوامل الثورة فى نفس فرويد الشاب تنفجر فى الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تكبت بقوة وقسوة تلقاء التيار الرجعى الجارف الذى كان يكتسح النمسا فى ذلك الوقت . فلقد حدث أنه ألقى أولى محاضراته بعد أن عاد من باريس عن الهستريا ومسبباتها النفسية الباطنية ، وكان ذلك فى جمعية الأطباء بڤينا ، فما كاد ينتهى من محاضرته حتى ثارت فى الصالة عاصفة هوجاء من الضحك منه والسخرية به وبآرائه ، وحتى انصرف العلماء الأفاضل يتهكمون به ويلمزون آراءه لمزاً شديداً قاسياً ! ولقد كان لهذه الصدمة صداها الشديد فى نفسه ، فآثر أن يعتزل هذا الجمهور الفظ من العلماء الجهلة — إن صح هذا التعبير — وأن يعمل للعلم وحده بعيداً عن ضجيج هؤلاء الأصنام ، وبمعزل من صخبهم . بيد أنه لم يسلم ، برغم هذه العزلة من خصومة ولدد يثيرهما عليه كثير من الدوائر العلميـة وغير العلمية لا بحجة آرائه المتطرفة فيما هو بسبيله من مباحث ونظريات فقط ، ولكن بسبب يهوديته أيضاً

ولم يثر أحد من العلماء حوله من الخصومة مثل ما أثار فرويد ، ولكنه ألح بآرائه على خصومه الحاحاً عجيباً حتى سحرهم بها وحتى جعلهم من أشد المعجبين بها والمتحمسين لها . وبحسبك أن تعلم أنه ما من قصة حديثة أو درامة يقدمها كاتب إلى مسرح من المسارح إلا ولفرويد أثر كبير فى صاحبها . فليس فى العالم الآن كاتب لم يدرس نظريات فرويد فى العقل الباطن ، وليس فى العالم الآن باحث سيكولوجى أو مرب لم يهتد فى أبحاثه أو فنه بمجهودات فرويد وتحليلاته العجيبة لهذه النفس الانسانية التى لم نكن قبله نعرف منها إلا جانباً قليلاً :

ولقد كتب فرويد — هذا الأسبوع — بمناسبة بلوغه الثمانين — كلمة جاء فيها :

« العقل الانسانى فى نظرى عبارة عن جبل من الجليد طاف فى الماء ، لا يبرز منه فوق السطح غير سبعه فقط ، أما الأسباع الستة الأخرى فهى دائماً تحت السطح . . . » وكأنه يريد أن يقول إننا لا نعرف من العقل إلا سبعه فقط ، أما ستة أسباعه الأخرى — وهو ما يسميه العقل الباطن — فمضمرة ، لا نعرف منها إلا القليل . وفرويد على حق فى هذا التشبيه الغريب للعقل لأنه هو قد أثبت أن العقل الباطن إن هو إلا خزانة عجيبة اختبأت فيها غرائز الانسانيـة الأولى وميولها الفطرية التى هى تراث

الأحقاب والآباد والتى تطفو على السطح فتكون ذات أثر بليغ فى عقلنا الواعى

وبالرغم مما لهذا الباحث العبقرى من آراء ونظريات فى الأيحاء والأحلام والاستهواء والمركبات والعُقد النفسانية فانه ينفى عن نفسه فى كلمته التى أشرنا الينا أنه صاحب نظرية أومذهب أو أنه استحدث علماً جديداً ... فهو يقول : « يخطئ من يزعم أننى صوفى أعطف على الانسانية أو أحب الخير للبشر ، أو أننى عالم صاحب نظريات استحدثها بعد أن كانت خافية على الناس .. لا .. لست شيئاً من ذلك .. بل أنا أدع الناس يحلمون أحلامهم وقد أتركهم يستغرقون أنفسهم فى مستقبلهم ... ثم أقف منهم عن كثب ألاحظ وأشاهد وأتفرج ... ثم أقيد ملاحظاتى ، وأقارن وأعلل وأؤلف ! »

وعلى ما بلغه فرويد من الثقافة العالية فانه ما يزال يهزأ من مدارك الانسان ويدعوها قشورا لا غناء فيها ... أو فيها غناء قليل : « ما ثقافتنا هذه ؟ ماذا عرفنا من النفس الانسانية ؟ ماذا كشفنا من سر هذه الحياة ؟ »

والعجيب أن فرويد ما يزال مؤمناً بالانسانية إلى حد كبير ، وهو يتشوف لها عن مستقبل باهر برغم تلك المجازر التى تلطخ وجه الأرض بالدماء من أجل أطماع وضيعة . وهو يقول إن الحرب ستعجل بهذا المستقبل الجميل ، لأنها وحدها ستثير الكراهية فى نفوس الناس منها فيمقتونها الى الأبد ، ويعدونها كلما فكروا فيها نكسة منهم الى الوحشية

ولقد عاش فرويد مخلصاً لأبحاثه اخلاصاً مدهشاً ، فكان يكب عليها إكباباً يذيب الصبر الجميل ، وكان يمقت كل من يصرفه عنها إلى غيرها ، وكان كثيراً ما يتمثل بما كان يقوله أناطول فرانس إذا حدثه أحد بهراء لا شأن لأبحاثه به :

« Ce n'est pas dans ma vitrinei ? »

ولعل أحسن مكافأة لهذا الرجل العالم أن تجتمع لجنة لتكريمه مؤلفة من بعض خصومه بالأمس ، وأشد المعجبين والمتأثرين به اليوم ، نذكر منهم الكاتب العالمى الأشهر هـ . ج . ولز ، ورومان رولان ، وستيفن زديج ، وجول رومان ، وتوماس مان . . وغيرهم وغيرهم . . . ولا ندرى هل تشترك كل من روسيا وأمريكا فى تكريمه ؟ فهو معجب بروسيا وقد تأثر إلى حد كبير بتحليلات دستويفسكى واضرابه . أما أمريكا فما نحسبها تشترك فى هذا التكريم ، فهو قد هجا مدنيتها كثيراً ، ولم يفته أن يلذعها فى كلمته الأخيرة من طرف خفى

ويقال إن لجنة تكريمه ستقترح على لجنة جائزة نوبل أن تمنحه جائزتها عن هذا العام لمناسبة بلوغه الثمانين . ونحن نشك فى أن تستجيب لجنة نوبل لهذا الرجاء ، فقد عرف أعضاؤها بكراهية فرويد ، وهذا هو محل الدهشة

دريني

المعجم اللغوى الوسيط

اجتمعت بمكتب صاحب السعادة وزير المعارف لجنة المعجم اللغوى الوسيط للمرة الأولى وقد رحب بالأعضاء سعادة الوزير وألقى فيهم الكلمة الآتية : —

أحييكم أطيب تحية ، وأشكر لكم تلبية دعوتى للاشتراك فى عمل المعجم اللغوى الوسيط ، وقد أردت ان أنتهز فرصة الاجتماع الأول لأبين لحضراتكم مبلغ عناية الوزارة وحرصها على هذا العمل الجليل ، ولأتشرف بالتعرف إلى من لم يسبق لى رؤيته من حضراتكم

وإنه لحظ سعيد لى فوق كونه حظا عاما أن يشرع فى هذا العمل وأنا وزير المعارف ، فقد عنيت بهذا الموضوع من سنوات ، وكنت أنادى بضرورة وضع هذا المعجم ، فهو واجب وطنى يفرضه الاخلاص للغة والعلم والدين

ومما يزيدنى سرورا أن يكون فى تنفيذ هذا المشروع استجابة لقرار المؤتمر الاسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩٣٠ ، وتحقيقاً لرغبة العالم العربى أجمع . وإنه ليحق لمصر أن تفخر بتلبيتها نداء العالم العربى فوق ما فيه من فائدة خاصة لها

وإنى لأعد هذا العمل من أجل الأعمال وأخلدها ، بل اعتقد أنه لا فرق بين خلود هذا العمل الجليل وخلود الاهرام إن لم ير بعض حضراتكم أنه أعظم ، ففى تحقيقه احتفاظ بهذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن وتهذيبها من الدخيل ، وتحقيق لوحدة الأمم العربية بهذه الوسيلة وهى المعجم

وقد ساعدت العناية الالـهية مركز مصر الجغرافى أن تكون

مصر زعيمة الثقافة الاسلامية فى العالم العربى ، وقد رضيت لها الأمم العربية هذه الزعامة وأقرتها

وإن المشروع الذى أريد أن نبدأ به هو هذا المعجم الوسيط مترسمين فى وضعه المنهاج الذى ذكر فى قرار تأليف اللجنة حتى يسد حاجة طلاب اللغة ورجال الثقافة من أمثال خريجى دار العلوم ومن فى طبقتهم ، فاذا ما وفقكم الله وأتممتم المعجم الوسيط شرعتم فى وضع معجم مدرسى للجيب يسد حاجة الطلاب المبتدئين ، وبعده تفرغون لمعجم بسيط يجمع شوارد اللغة ويسد حاجة الأدباء والعلماء . ثم تأتى بعد هذا مرحلة أخرى هى وضع موسوعة عربية تكون مرجعاً عاماً يتناول الفنون والعلوم والآداب وغيرها ، فاذا وفقنا إلى إنجاز هذا كله حق لنا أن نفخر بأن مصر أصبحت بحق عضواً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية ، وأنها قد أدت رسالتها كاملة عن اللغة العربية

هذا هو برنامج وزارة المعارف الذى أرجو أن يكون برنامجاً قومياً يأخذ كل وزير فيه بنصيب ، وهذا هو اعتقادى وأملى الذى أرجو أن يتحقق على أيديكم وبفضل معونتكم الصادقة حتى يكون لكم شرف وضعه وإتمامه ، ولى بعدكم الثواب من الله على مثل هذا العمل الجليل

وإن الوزارة حريصة على أن تيسر لكم مهمتكم وهذا هو صديقى وكل وزارة المعارف خير ضمان لتنفيذ ما تطلبون فان لى فيه الأمل الكبير والثقة العظيمة

كتاب عن مكيافيللى

صدر أخيراً كتاب جديد عن مكيافيللى وعصره - Machiavelli and his times بقلم الدكتور ارسكين موير E. muir . وقد صدرت كتب كثيرة عن مكيافيللى وعصره ، أهمها وأشهرها المؤلف الجامع الذى وضعه المؤرخ الايطالى فيلارى عن « حياة مكيافيللى وعصره » ولكن شخصية مكيافيللى وآراءه السياسية والاجتماعية ما زالت تشغل البحث فى عصرنا ؛ بل إن فكرته فى الدولة وفى الحكم تتبوأ مكانة هامة . ذلك أن فكرة الدولة تغدو فى أوربا مسألة اليوم ، ولاسيما الدولة التى تتجسم فى شخص طاغية كما هو الشأن فى ألمانيا وايطاليا . ومن المعروف أن الفكرة الفردية قد قضى عليها اليوم فى ظل النظم الطاغية الجديدة كالهتلرية والفاشستية ، وأن فكرة الدولة تسود كل شىء فى هذه النظم ، وأن الدولة وكل مرافقها وقواها هى أداة فى الأيدى الطاغية التى تشرف على النظام وتحركه ؛ ونحن نلمس فى فلسفة مكيافيللى أصول هذه النظريات الطاغية ، فالكتابة عنها اليوم مسألة لها خطرها . ومما يذكر فى ذلك أن موسولينى طاغية ايطاليا درس فى شبابه كتاب مكيافيللى (الأمير) دراسة عميقة ، وأنه ما زال يردد اليوم « أن مكيافيللى يعيش اليوم أكثر مما كان يعيش منذ أربعة قرون »

ومن أقوال مكيافيللى المأثورة فى كتابه السالف قوله : « إذا كان الحكام جميعاً من الطراز الصالح فعليك أن تفى بعهودك ؛ أما وهم خونة لا يفون بعهدهم فعليك من جانبك ألا تفى لهم بعهد » ، وهذه النظرية تشتد وطأتها اليوم فى أوربا

والواقع أن مكيافيللى أراد فى كتابه أن يحلل نفسية أبناء وطنه فى عصره وأن يحاول بملاحظاته الدقيقة أن يجد ذلك الطراز من الطغاة الذى يستطيع أن يجمع الكلمة ، وأن يسبغ على الوطن نعمة الحكم المستنير ؛ ولكن الآراء والمبادىء الجافة الخطرة التى تتخلل مباحث مكيافيللى قد طبعت عقيدته فى الحكم بطابع أسود ، وجعلتها مضرب الأمثال للسياسة الفادحة الخطرة ؛ على أن بعض الباحثين يرون أن هذه النزعة ترجع الى حكم مكيافيللى على مجتمعات عصره ، والى اعتقاده بأن الانسانية تقوم على مبادىء وضيعة ، وهو اعتقاد لم يشاركه فيه كثير من أعلام عصره ولاسيما المؤرخ والسياسى الكبير جيشار دينى

ويستعرض الأستاذ موير فى كتابه آراء السياسى الفيلسوف فى الدولة والحكم ويقارنها بآراء جيشارديني ؛ ثم يورد كثيرا من آراء مكيافيللى فى خطبه ورسائله التى تلت كتابه « الأمير » ، ويستخلص من المقارنة أن مكيافيللى قد عدل فى أواخر حياته كثيرا من آرائه ، وأنه كتب الأمير فى وقت نقمة ويأس ، وأن هذه الروح أملت عليه كثيرا من الآراء المتطرفة التى عدلها فيما بعد

العالم المسرحي والسينمائي

آراء فنانين ارلنديين

في الممثل والمخرج المصري

لناقد « الرسالة » الفني

« أوه يا صديقي ! إنني سعيد حقاً إذ أقضي ليلة في مصر أشهد فيها الممثلين المصريين يقومون بتمثيل رواية معروفة كان من حظي أن أقرأها وأن أشهد تمثيلها قبل ذلك في باريس في الهواء الطلق . »

هذا ما نطق به المستر هيلتن ادواردز مخرج فرقة « دبلن جيت » الأرلندية التي عملت على مسرح الأوبرا الملكية خلال شهر مارس الماضي بعد أن صافحني في فترة الاستراحة الأخيرة من رواية السيد التي أخرجتها الفرقة القومية المصرية في الأسبوع الماضي . ولقد بادرته بالسؤال : « وما رأيك في تمثيل المصريين ؟ »

فأجاب بحرارة « اسمح لي يا صديقي أن أقول لك إن المصريين يتمتعون بميزة طيبة ، هي جمال الصوت ، وإنه ليخيل إلي أن اللغة العربية من أصلح اللغات للمسرح . إني أطرب لها ؛ ولكم وددت لو أعرف العربية حتى يكون استمتاعي بالتمثيل أكثر منه الساعة »

« إن بين الأفراد الذين يعملون أمامي مجموعة قوية ، مما يدل على أن في المصريين استعداداً قوياً للتمثيل ، فلقد علمت أن ليس في مصر معهداً للتمثيل ، بل إن نبوغ هؤلاء الأفراد نتيجة جهد شخصي ، واستعداد فطري ، وهذا فخر كبير لهم . ولقد قرأت هذه الرواية وشهدتها قبل ذلك تمثل ، ولكن لم أدرسها ومع ذلك أستطيع أن أقول إني مرتاح جداً إلى قدرة الممثلين المصريين »

قلت : هل لك أن تدلي برأيك في أداء الممثلين الذين يعملون أمامك الآن ، وعن ملاحظاتك ؟ إنهم يرحبون بكل ملاحظة تبديها وكذلك قرائي يودون أن يعرفوا رأيك

فابتسم المستر ادواردز وقال : « قلت لك إنني لا أعرف العربية فحكمي لن يكون صادقا . على أنني أستطيع أن أقول إنني كثير الاعجاب بالسيدة التي تقوم بدور شيمين حبيبة السيد (زينب صدقي) إنها ممثلة قديرة ويبدو لي أنها تفهم دورها تمام الفهم ، وهي تجيد مواقف الكبرياء ، وأرجو أن تبلغها إعجابي »

« وإنني كذلك معجب بالملك (منسي فهمي) وأعتقد أنه ممثل قدير ، وكذلك أنا معجب بالسيد (حسين رياض) ، ومع جهلي باللغة العربية أحس أنه يجيد الالقاء ، وأنا مرتاح الى تمثيله . والدون جوميز (زكي رستم) أدى دوره الذي يحتاج الى الصلف والكبرياء أحسن أداء ، وهو يليق لهذه الشخصية »

قلت وما رأيك في السيدة التي تمثل دور ابنة الملك (عزيزه أمير) ؟ فأجاب « إنها لا تليق لهذا الدور ، وإنها تبدو في مستوى أقل كثيرا من مستوى الممثلة التي قامت به في باريس حتى ليخيل إلي أنها لم تفهم دورها »

ثم سألته عن رأيه في الاخراج فأجاب « هل من الضروري أن أجيب عن هذا السؤال ؟ » فقلت أجل ، إنه يهمنا كثيراً أن نعرف رأيك .. إن إخراجك قد حاز إعجاب جميع رجال الفن والأدباء من المصريين ، وإن من دواعي السرور أن تفصح لنا عن رأيك

أطرق المستر ادواردز قليلا ثم رفع وجهه وقال : « لقد حدثتك من قبل عن رأيي في طريقة الاخراج التي أفضلها . لقد جعلت السينما أي جهد في اخراج الروايات بطريقة نقل الطبيعة ومحاكاتها Realism عبثاً ، لأن مجال المسرح محدود ؛ والأمر على العكس من ذلك في السينما ، ولهذا وجب علينا ألا نعنى بالأشياء الحقيرة والتفاصيل العادية The Vulgarity of Detail فهي مجال السينما ، ولهذا فأنا غير مرتاح الى اتباع طريقة الريالزم ؛ وأفضل الطريقة الايحائية Suggestive لأنها تجعل رواد المسرح يشتركون

مع الممثل والمخرج فى نجاح الرواية والاهتمام بحوادثها ، بدل أن تعرض عليهم عرضاً مهلا يبعث النوم الى جفونهم ، ولذلك لم يعجبنى اخراج هذه الرواية »

« إن المسرح الحديث يعتمد أكثر ما يعتمد على الاضاءة ؛ ولقد رأيت كيف عاونتنى فى اخراج هملت ، وروميو وجوليت وغيرهما ، ولكنى أرى مخرجكم (زكى طليمات) لم يقصد من الاضاءة إلا أن يكشف المناظر والممثلين للنظارة ، ولم يستخدم الاضاءة فى غرض أو فكرة خاصة ، واستخدامه للضوء يظهر فى موقف واحد فقط بين السيد وحبيبته »

« وقد يكون استعمال المناظر المتعددة والستائر الكثيرة مما يلجأ اليه المخرجون الفرنسيون ، ولكنى أرى أن ما يصلح لفرنسا يجب ألا يفرض على مصر أو غيرها ، بل يجب على المخرج أن تكون له شخصية تبرز فى اخراجه وتعبر عن نفسيته ، وتكون رجع الصدى للبيئة والقومية التي هو منها ؛ ويبدو لى جلياً أن مخرج هذه الرواية لم يهتم بدراستها دراسة اخراج »

***

وكان أول ما صرح به المستر ميكائيل ماك ليمور الممثل الأول لفرقة « دبلن جيت » وواضع تصميم مناظر الروايات ، إعجابه بممثل شخصية الملك (منسي فهمى) فهو فى رأيه ممثل قدير ، وقد أبدى إعجابه أيضاً بالسيدة زينب صدقى فى دور شيمين ، وهو يتفق مع زميله فى أن للمصريين صوتاً جميلاً وأن طريقتهم فى الالقاء الشعرى بديعة

وقد سألته عن رأيه فى الاخراج فأجاب « إن هذا اختصاص زميلى المستر ادواردز فهو يستطيع أن يحدثك عنه حديثاً طيباً ، ولكن أقول لك انه يجب على الفرقة أن تعنى باختيار المناظر وعملها فتضع تصميماً لكل منظر تختاره بحيث تسود المناظر روح واحدة وطريقة واحدة . وانتهاج مثل هذا السبيل يعاون المخرج والممثلين على الوصول إلى غور نفوس النظارة . »

« إن فرقتنا قبل أن تخرج أى رواية تعهد بها إلىّ وإلى المستر ادواردز فنقوم بدراستها ونضع الفكرة الاساسية التى سيقوم عليها الاخراج وبعدئذ أفكر فى وضع تصميم مناظرها » ولو لجأت الفرقة المصرية إلى هذه الطريقة لما رأينا أسلوب تصوير منظر Styie يختلف عن أسلوب المنظر الآخر

فن السينما

بقلم يوسف تادرس وظريف زكى

مقدمة

لا حاجة بنا إلى التنويه بانتشار فن السينما حتى طغى على المسرح ، ولا بانشغال الناس به ، من نظارة يقبلون على ارتياد دوره ، إلى ممثلين يعرضون أنفسهم للظهور على شاشته البيضاء ، إلى أدباء ينشئون له القصص والروايات

ذلك على حين أن فن السينما لا يزال فى مهده لم يشتد عوده ، وأن قواعده لم تخرج إلا بقدر من طور مجرد الاحساس بماهيتها إلى طور الاستقرار والتحديد

على أن ذلك القليل من قواعده الذى استقر وتحدد ، لا يزال جمهور النظارة يجهله كل الجهل ، ولا يزال الأدباء بعيدين عن درسه وهضمه . ولو عرفه الجمهور ولو بعض المعرفة لزاد استمتاعه بمشاهدة آثاره ، ولو درسه الأدباء وهضموه لأفادوا منه الغنى ونباهة الذكر

ونحن إذ نكتب هذا الكلام تمثل أمام أعيننا المشاق التى لابد أن تكابدها الآن شركة مصر للسينما فى مراجعة الروايات التى قدمت إليها فى المباراة التى عقدتها ، ونتصور الجهد الجهيد الذى يبذله رجالها فى درس تلك الروايات وتنسيقها واعدادها

لذلك وطدنا النفس وعولنا على بيان قواعد فن السينما والتعليق عليها بالشرح والتمثيل على صفحات « الرسالة » الغراء . متوخين الموضوع قبل كل شىء ، نابذين المعقد الجاف من اصطلاحاتها ، ساعين وراء فائدة أوفر عدد من الجمهور

وقد وقع اختيارنا على كتاب « ف . ا . بودوفكين » عن حرفية الفلم واتخذناه نبراساً نهتدى به فى بحثنا ، وكنزاً نغترف منه ونجود به على غيرنا

بودوفكين

وإذا اخترنا كتاب بودوفكين ، فلأنه — على وضوح معناه وسهولة عباراته — قد فتح به فتحاً هز أرجاء القارتين الأوربية والأمريكية ، ولا غرو فقد تضافرت جميع العوامل لتنصيب بودوفكين متشرعاً للفن السينمائى

الكتب

الخطرات

كتاب فى الأدب والأخلاق والاجتماع

تأليف السيدة وداد سكاكينى

السيدة وداد سكاكينى مربية سورية لها فى ميدان الأدب والاصلاح الاجتماعى جولات موفقة ، وهذه الخطرات التى خطرت لها فى مرافق المجتمع العربى عامة والسورى خاصة لا ريب تشهد أنها شاعرة متألمة لا تملك غير قلمها وسيلة لاظهار ما تشعر به ، وهذا القلم يبدو من خلال هذه الخطرات بليغاً صريحاً حكيما عزيزاً ، ومن بين الموضوعات الكثيرة التى حفلت بها هذه الخطرات (الفن القصصى) وفيه تبين الكاتبة مقدار اهتمام الغربيين بذلك النوع من الأدب ، وتعيب على القصة المعربة أنها لا تتمشى مع تقاليدنا ، ولا تصف طرق معايشنا ، ولا تتناسب مع أخلاقنا ؛ وتهيب بأدباء العربية أن يكتبوا عن بيئاتهم قصصاً يحللون فيها ما يعتور ظواهر الاجتماع من التطور والانقلاب

وتفرغ الكاتبة عواطفها فى مقال جميل عن ذكرى النبى الكريم ، تنوه فيه بجهوده كنبى وشارع ومثل أعلى لمكارم الخلق ؛ وهى ترى أن ما اعتاده المسلمون من الاحتفال بذكرى مولده بقراءة القصة المعهودة لا يفى بالغاية من الاحتفال والتكريم ، بل يجب أن يعنى بتلاوة سيرة من طراز يناسب العصر الحديث ، توصف فيها الأخلاق المحمدية والتعاليم الاسلامية وما أحدثته من الانقلاب الخطير فى تاريخ الانسانية

أما إصلاح المرأة فترجعه الكاتبة إلى أحوال المدرسة ، فهى تصرح بأن الفوضى فى مناهج الدراسة تجعل المدرسة عاجزة عن بث روح النشاط والهمة والتهذيب والثقافة فى نفوس النشء ، بل تجعل التلميذات « يدخلنها صباحاً بقلوب واجفة وأقدام تصطك خوفاً ورعباً ، ويخرجن منها مساء كالعصافير وجدت بعد طول الأسر حريتها المسلوبة » هذا ما تقوله فى وصف المدرسة ، ولعلها بهذه الصراحة قد وفقت إلى لفت أنظار القائمين بشؤون التعليم إلى أن الاتجاهات الحديثة فى التربية تعنى قبل كل شىء بأن تكون المدرسة مكاناً يحبه التلاميذ ويجدون فيه مجالاً فسيحاً لارضاء غرائزهم وإظهار مواهبهم وتنظيم رغباتهم فى جو يسوده المرح والاطمئنان

وهكذا وبمثل هذه الروح الطيبة تعالج الكاتبة كثيراً من الموضوعات التى أهمها الأدب العربى ، والتجديد فى الشرق ، والجرأة الأدبية ، وشاعرية الخنساء . ونحن نهنىء الكاتبة الفاضلة بذلك الجهد الموفق ، ونرجو أن يستجيب المصلحون إلى ذلك النداء الصادق البرىء

عبد الفتاح السرنجاوى

فانه ولد ويعيش فى روسيا ، وكانت روسيا ولا سيما فى السنين الأولى التى تلت الثورة السوفيتية ، محرومة من الاتصال بالعالم المتمدن ؛ وكانت فقيرة فى المواد الأولية التى تغذى بها الصحف والمجلات السينمائية ، فانكب رجال الفن هناك على البحث النظرى وعلى التجارب ، فأتوا فى هذين الميدانين بالعجب العجاب

وبودوفكين يجرى فى عروقه الدم الروسى ، ممتزجاً بالدم التترى ، فكأننا به قد جمع إلى المزاج السلافى الذى يفنى فى الفن الخالص ، ذلك الجموح وتلك الجرأة اللذين قد وسم بهما الجنس التترى

وهو متزوج من ممثلة سينمائية ، سعيد فى حياته ، مستريح البال مطمئن الخاطر ، يستنشق فى منزله نسيم الفن الذى جعل حياته له . ناهيك من عقل جبار ، واحساس مرهف ، وقدرة على تبسيط العلوم الجافة مما لا يجتمع إلا للأفذاذ أمثال بودوفكين وقليل ما هم

(يتبع)

القياس فى اللغة العربية *

للأستاذ محمد الخضر حسين
عضو مجمع اللغة العربية الملكى
للأديب سيد أحمد صقر

القياس فن واسع الأطراف، متشعب المسالك، يمت الى كل باب من أبواب اللغة بصلة، ويكاد يجرى ذكره عند كل مسألة، ولولاه لضاقت الفصحى على أبنائها، وقعدت بهم عن مسايرة ركب الحياة. لم يؤلف فيه — على ما أعلم — غير هذا الكتاب. وسبب تأليفه أن مؤلفه البحاثة الأستاذ محمد الخضر حسين كان يمر أثناء دراسته لعلوم العربية على أحكام تختلف فيها آراء العلماء فيقصرها بعضهم على السماع، ويراها آخرون من مواطن القياس، وقد يحكى بعضهم المذهبين دون أن يذكر الأصول التى قام عليها ذلك الاختلاف. فرأى فضيلته أن التمسك بمثل هذه الأقوال من المتابعة التى لا ترتاح إليها نفس العالم الحر — ولاسيا أن الكتب التى اعتمد عليها أصحاب هذه الأقوال قد أصبحت فى متناول أيدينا — فأخذ يوجه نظره الثاقب الى الأصول العالية التى يراعونها فى أحكام القياس والسماع حتى ظفر بقواعد صريحة أضاف اليها غيرها مما استنبطه أو ابتدعه فكان من ذلك (كتاب القياس). شرح الأستاذ فى هذا الكتاب حقيقة القياس، وفصل شروطه، وجمع أصوله وضم أشتاتها، وأبرزها فى ثوب قشيب، سهلة القطاف للراغبين، وقدم له بمقدمة رائعة فى فضل اللغة العربية ونشأتها ومسايرتها للعلوم المدنية، وحاجتها الى المجتمع، وتأثيرها فى الفكر، وتأثير الفكر فيها، الى غير ذلك من الأبحاث الموجزة الشائقة، ثم تكلم عن القياس ووجه الحاجة اليه، وذكر أقسامه وخص منها بالبحث القياس الأصلى وقياس التمثيل، وتكلم عن الأمور المشتركة بينهما كالقياس فى الاتصال، والترتيب والحذف والفصل إلى آخر تلك المباحث التى طبق فيها المؤلف مفاصل السداد، وأصاب شوا كل المراد، ودل بها على تبحره فى علوم اللغة، وتمكنه من ناصيتها. بيد أنى كنت أحب أن يطلق الأستاذ لبراعته العنان، ويبسط القول بعض البسط، ويكثر من المثل والشواهد لتكون الفائدة بكتابه أعم وأعظم. وإن كان للأستاذ العذر فيما ذهب اليه من الايجاز

السيد أحمد صقر

* هذا الكتاب مطبوع فى المطبعة السلفية ويقع فى ١١٥ صفحة من القطع المتوسط وثمنه أربعة قروش

سلسلة القصص التهذيبية

عنى الأستاذ أحمد فؤاد الصحن بوضع هذه القصص التهذيبية وأخرج منها حلقتين: الأولى (قصة البخيل)، والثانية (قصة الصياد الصغير والسلحفاة)، وفى ختام الحلقة الثانيــة قصة قصيرة وحكاية مصورة وبعض مشاهدات فى مبادئ الطبيعة ومسائل حسابية ومسابقة لطيفة للأطفال، وهذه كلها قصد بها الأستاذ تسلية الأطفال وتزويدهم بطائفة من المعلومات العامة فى قالب سهل؛ والكتابة للأطفال لا ريب تحتاج إلى جهد عظيم وعناية فائقة، ثم هى تقيد الكاتب بكثير من القيود، ولعل هذا هو السر فى أن الأطفال فى مصر ظلوا طويلا محرومين من الكتب التى تناسب مداركهم. وليس من شك فى أن الأستاذ بكتابة هذه الحكايات قد أضاف إلى مكتبة الأطفال آثاراً لها قيمتها فى تهذيبهم وتثقيفهم وتوسيع مداركهم وتقوية الخيال فيهم. ورجاؤنا أن يعنى الأستاذ فى الحلقات القادمة بالاكثار من الصور وجعلها أكثر وضوحاً وأقرب إلى النوع الذى يحاول الأطفال أن يرسموه بأيديهم، فان ذلك له أثره فى تقريب الحكايات وجعلها جميلة سائغة

تاريخ الكشف فى مصر والعالم

وضع هذه الرسالة الصغيرة الأديب مصطفى أفندى محمد حسين الرفيق الأكبر لرهط جوالة مدرسة بورسعيد الثانوية، وقد بدأها بترجمة موجزة لحياة (بادن باول) الكشاف الأعظم، ثم تناول الكلام عن تاريخ الكشف مستعرضاً الأنظمة الشبيهة به فى التاريخ القديم، فهو يصف فى ايجاز شديد النظام الأسبرطى، ثم ينتقل إلى القرون الوسطى، فيصف الفروسية عند العرب والأوربيين؛ ثم يجاوز هذا إلى حركة الكشف الجغرافى فى بداية التاريخ الحديث، ويوازن بين أنظمة الكشف القديمة والحديثة، وأخيرا يعرض للكشافة فى مصر، وينقد الفرق الأهلية والكشافات المدرسية؛ ويختم رسالته بفصل عن المعسكرات الكشفية العالية؛ وبرغم ما فى هذه الرسالة من الأخطاء اللغوية الكثيرة فانها جهد يشكر عليه صاحبه

(ع)